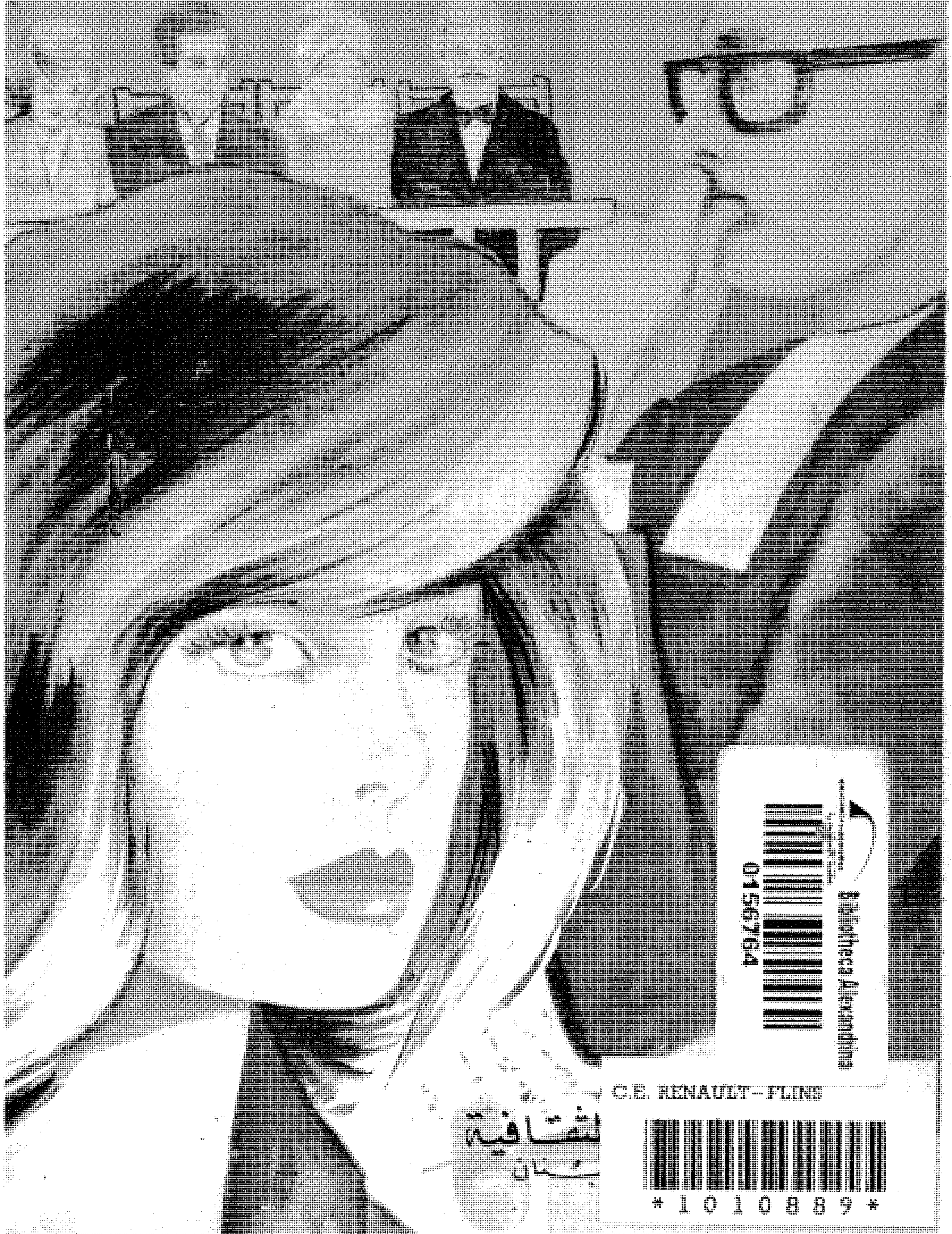


أجاثا كريستي

المتهم في البيت

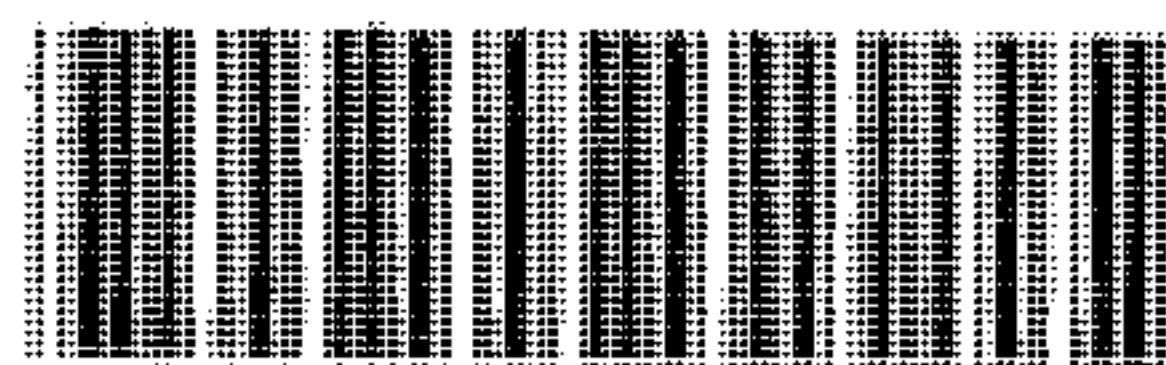


0156764

El-Mahfaza Alexandria

C.E. RENAULT-FLINS

التفافية
بنان



* 1 0 1 0 8 8 9 *

المتهمة البريئة

GIFTS OF 1996
BIBLIOTHEQUE
INTERUNIVERSITAIRE DES
LANGUES ORIENTALS
PARIS

أهائاكريتي

المتنم البريت

المكتبة الثسافية

بيروت - لبنان

ص.ب: ٨٧٢٢

المقدمة

« اليانور كاترين كارليس . أنت متهمه بقتل ماري نجيرارد في اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي ، فهل أنت مذنبه أو غير مذنبه ؟ »
ووقفت اليانور كارليس منتصبه القامة وقد رفعت رأسها الجميل المتسم بالنبل . وكانت زرقاء العينين سوداء الشعر رفيعة الحاجبين .
ومرت فترة سكون . سكون ملحوظ . وشعر محامي الدفاع سير أدوين بولر بنوبه من اليأس . دفعته إلى التفكير .
- يا إلهي .. إنها ستعترف . لقد فقدت أعصابها ..
وانفجرت . شفتا اليانور كارليس لتقول :
.. لست مذنبه .

وتهالك محامي الدفاع في مقعده ومر بمندبل على جبهته وقد دار بخلده انه نجا بأعجوبة من مأزق عصيب .
أما يمثل الاتهام سير صامويل آتينبري فقد نهض واقفاً وراح يسرد وقائع القضية قال :

« إذا سمحتم لي يا سيادة القاضي ويا حضرات المحلفين .. فأنني أود أن أذكر لكم أنه في اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو ، وفي الساعة الثالثة

والنصف مساء ، ماتت ماري جيرارد في هانتربري بمقاطعة ميدنز فورد .. «
ومضى صوته رتيباً له وقع محبب إلى الآذان حتى كاد يؤدي باليانور إلى
حالة تقرب من عدم الشعور ولم يحتفظ عقلها الواعي إلا بجملته عريضة من
التلخيص المبسط الدقيق الذي كان يلقيه ممثل الإدعاء .
« فالقضية تمتاز ببساطتها .. ومن واجب الإدعاء أن يثبت الدافع إلى
الجريمة ، فلا يوجد أحد ، حسب إدراكنا ، لديه أي دافع لقتل تلك الفتاة
المسكينة ماري جيرارد عدا المتهمه .. فالقتيلة فتاة ذات شخصية جذابة
محبوبة من الجميع وليس لها عدو واحد على وجه الأرض .. »

« .. وانني أود أن أوجه اهتمامكم إلى ما يلي :

١ - ما هي الإمكانيات والوسائل التي كانت لدى المتهمه لتسميم القتيلة ؟
٢ - وأي دافع كان لديها للإقدام على ذلك ؟
« .. أما فيما يتعلق بتسميم ماري جيرارد فاني سأقدم اليكم ما يدل على
انه لم يكن لدى أي شخص فرصة ارتكاب تلك الجريمة سوى المتهمه . «
واختزلت تلك الكلمات الحاجز الكثيف الذي كان يحيط بأفكار اليانور
وكأنها أشواك تخترق حجاباً كثيفاً خانقاً ..

أما المحكمة فكان فيها صفوف من الوجوه .. ومن بينها وجه خاص له
شارب أسود كبير وعينان تدلان على الذكاء .. هو وجه هركيول بوارو
وقد مال برأسه قليلاً .

وراح يرقب اليانور بعينين تدلان على التفكير العميق ..

وفكرت اليانور في أنه يحاول أن يعرف بالدقة لماذا ارتكبت تلك الجريمة .
« انه يحاول أن يصل بأفكاره إلى داخل رأسي ليعرف ما فكرت فيه وما
شعرت به . اني شعرت بصدمة مصحوبة باشمزاز قليل .. ثم وجه رودى
.. ذلك الوجه الحبيب ذو الأنف الطويل والفم الحساس .. رودى .. رودى
دائماً ومنذ وعت ذاكرتي .. منذ تلك الأيام التي أمضيتها في هنتر بري بين

الشجيرات وعلى المرتفعات وبالقرب من الغدير .. رودي .. رودي ..
ومن الوجوه الأخرى . وجه المرضة أوبريان ذات الفم المفتوح قليلاً
والوجنة المتناثر عليها النمش .. وجه المرضة هوبكنز .. وجه بيتر لورد
الشفوق .. المدرك .. الحنون .. إنه الآن يتسم بنظرة تنم عن الضيق .. لقد
أثر فيه كل ذلك تأثيراً شديداً .. على حين انها وهي الشخصية الأولى .. لا
يهمها شيء .. وكان ممثل الاتهام لا يزال يتكلم .. قال :
« .. فالوقائع في هذه القضية تتميز بالبساطة المتناهية ولا يوجد من يعترض
عليها وسأعرضها عليكم في بساطة تامة ، فنذ البداية .. »

وهنا مضت اليانور تفكر ..

— البداية .. البداية ؟ . لقد كانت البداية في ذلك اليوم الذي وصل فيه ذلك
الخطاب البشع المرسل من مجهول ..

الفصل الاول

خطاب من مجهول ا .

وقفت اليانور كارليس تنظر إلى الخطاب المفتوح في يدها إنها لم يمر بها شيء مثل هذا من قبل .. لقد ترك في مشاعرها إحساساً غير حسن .. وكان الخطاب رديء الكتابة ومكتوب على ورق رخيص .. وقد جاء به ما يلي :

« .. انني انذرك .. إنني لا أذكر اسماء ولكن هناك من يحاول استغلال عميتك . فاذا لم تأخذي حذرك فلن يكون من نصيبك شيء ، والفتيات « يتميزن » بالحدق : أما السيدات العجائز « فيتميزون » بسهولة التأثير عليهن إذا ما تقربت الفتيات منهن وأمطرنهن بالزلفى .. وإنني أقول أنه من الأفضل لك أن تبدأي بمعرفة ما يدور ، فليس من الصواب بالنسبة لك أن تحرمي مما هو خاص بك . إنها ماهرة جداً ، وقد تموت السيدة العجوز في أي وقت .
« ناصح أمين »

وكانت اليانور لا تزال تنظر إلى الخطاب باشمئزاز عندما فتح الباب وأطلت الخادمة لتعلن مقدم « مستر ويلمان » وبعد هذا دخل رودي الحجره ، رودي الذي كلما وقعت عيننا اليانور عليه ، أحست بدوار خفيف وهزة من

سرور مفاجيء ..

كان واضحاً لديها إنها يجب أن تكون حذرة جداً ، فالرجال لا يعجبون بالوله والهيام ومن الطبيعي أن رودى واحد منهم ولذا قالت في استخفاف :

- هالو .. رودى ..

- هالو يا حبيبتى . إن ملاحظتك تنطق بالقلق فهل الأمر يتعلق « بفاتورة »

واجبة الدفع ؟ .

فهمزت اليانور رأسها نفيًا .. وقال رودى :

- لقد ظننت ونحن في منتصف الصيف ان الحسابات المستحقة تبدأ

« فواتيرها » في الانهار .

- لا . انه أمر مزعج .. انه خطاب من مجهول ..

وارتفع حاجبا رودى عجباً وتغيرت ملامح وجهه وقال في استنكار .

- أحقاً ؟

وهنا اتجهت اليانور ناحية المكتب وهي تقول :

- أظن أنه من الأفضل أن أمزقه ..

وكادت أن تفعل ذلك ولكن سرعان ما غيرت رأيها وقالت :

- ربما يكون من الأفضل أن تقرأه أولاً .. ثم نقوم بإحراقه بعد ذلك ..

انه خاص بعمتى لورا ..

ومرة أخرى ارتفع حاجبا رودى تعجباً وهو يقول :

- العمة لورا ؟

ثم أخذ الخطاب وقرأه في امتعاض ثم أعاده اليها وقال .

- نعم . لا بد من إحراقه . حقاً ان الناس مخلوقات غريبة ..

أتظن أنه من أحد الخدم ؟

وتردد رودى قبل أن يجيب :

- أظن ذلك ولكنني أعجب .. من يكون ؟ . من يكون الشخص المعنى

بالخطاب ؟ أعني الشخص الذي يحاول استغلال عمّتك ؟

فأجابت اليانور بعد تفكير ..

- لا بد أن تكون ماري جيرارد .

- ماري جيرارد ؟ من هي ؟

- إنها ابنة القوم الذين يقطنون الكوخ ولا بد أنك تذكرها عندما كانت طفلة ، فقد كانت عمتي لورا مشغوفة بها وتبدي اهتماماً بها حتى أنها دفعت لها مصروفات مدرستها ومصروفات نثرية أخرى مثل دروس في « البيمانو » والفرنسية وغيرها .

- آآ .. نعم .. انني اذكرها الآن . كانت طفلة نحيفة فأومأت اليانور برأسها وقالت :

- نعم .. ومن المحتمل أنك لم تراها منذ تلك العطلات الصيفية عندما كان كل من أبي وأمي في خاراج البلاد إذ كنت تزورنا في هنتربري بصورة مستمرة ، وأذكر اننا كنا نبحث عنها لتلعب معنا عندما كنا أطفالاً .. وهي قد ذهبت أخيراً مرتين في زيارة لألمانيا .

- وما شكلها الآن ؟

- لقد تحولت فأصبحت جميلة ذات خصال طيبة وثقافة عالية .

ولكنها ليست على علاقة حسنة مع والدها إذ أنه يسخر منها .. من تعليمها ومن صلفها ، أما امها فانها ماتت منذ سنوات . وصمتت اليانور قليلاً ثم استطردت قائلة :

- أظن انها تذهب الى منزل عمتي كثيراً لأنها تقرأ لها بصوت مرتفع منذ أن أصيبت بالنوبة المرضية الأخيرة .

- ولماذا لا تدع عمّتك الممرضة تقرأ لها ؟

- ان صوت الممرضة أوبريان أجش ولذلك فان عمتي لورا تفضل ماري عليها ومرت دقيقة أو دقيقتان أمضاهما رودى في ذرع الحجره جيئة وذهاباً في

سرعة قبل أن يقول :

- أتعلمين يا اليانور انني اعتقد انه من الواجب علينا ان نذهب إلى عمته .

- بسبب هذا ؟

- لا .. لا .. يجب على المرء أن يكون صريحاً .. ان الخطاب ولا شك

كريبه .. ولكن قد يكون هناك بعض الصدق فيما جاء به .. اعني أن عمته مريضة جداً و ..

- لعلك على حق يا رودى .

فنظر اليها وهو يبتسم ابتسامته الساحرة ثم اضاف :

- والنقود لها أهميتها . لك ولي .. يا اليانور ..

وأقرت اليانور بذلك في سرعة :

- نعم .. إنها هامة ..

- إنني لا أعني بذلك انني مادي .. ولكن العممة لورا ذكرت مراراً

وتكراراً انك أنت وأنا نمثل عائلتها .. فأنت ابنة أخيها وأنا ابن أخ زوجها .

ولقد ثبت في أذهاننا اننا سنرث كل ما تملك بعد موتها .

- نعم . يا رودى .. هذا صحيح .

- ليست العناية بهنتربري أمراً سهلاً . فعمي هنري كان على ما أظن ،

في سعة من العيش عندما قابل عمته لورا ولكنها كانت قد ورثت وقتئذ ،

وبذلك كانت هي والدة على درجة كبيرة من الغنى ، ومع الأسف فقد والدك

معظم ثروته بعد ذلك في المضاربات .

وتنهدت اليانور .. ومضى الشاب في حديثه ، قال :

- نعم .. ان عمته لورا كانت تتمتع بذهن أفضل منه .. لقد تزوجت

العم هنري ثم اشترى هنتربري ولقد ذكرت لي منذ مدة قصيرة انهما كانت

سعيدة الحظ جداً في استثماراتها المالية .

- لقد ترك لها العم هنري كل ما يملك عندما مات . أليس كذلك ؟

وأوما رودي برأسه إيجاباً ثم قال :
- لقد كان موته الفجائي كارثة .. كما انها لم تتزوج ثانية .. إنها لمعجوز
مخلصة .. وقد كانت دائماً طيبة معنا .. فلقد عاملتني دائماً وكأني ابن أخ لها
يمت لها بصلة الدم . ولو وقعت في مأزق ما تأخرت عن مساعدتي ولكن من
حسن حظي انني لم أقع في مأزق قط .
وأضافت اليانور :

- وكانت كريمة جداً معي ايضاً ..
وأوما رودي تصديقاً لقول اليانور ثم قال :
- انها جوهرة .. ولكنني أظن أننا نحيا حياة بدخ .
- أظن ذلك .. ان كل شيء يحتاج إلى نقود .. الملابس .. والتجميل ..
وأشياء أخرى مثل دور السينما والكوكيتيل .
- إنني أحبك لصراحتك ، أحبك لأنك رقيقة ومرتعالية .. ولولا وجود
العمة لورا لكان من المحتمل انك تقومين بعمل متعب تقيمين به أودك ..
وكذلك الحال معي فلي عمل مع شركة لويس وهيوم ولو انه غير مثير إلا
أنه يلائمني ويحفظ علي كرامتي وثقتي بنفسني ، بيد انني لا أخشى المستقبل اعتماداً
على ما انتظره من العمة لورا .

- هل تعني بذلك إننا ككلاب جشعة ..
- هراء لقد استقر في فهمنا اننا يوماً ما سيكون لدينا مال .. هذا
هو كل شيء وهو بطبيعة الحال يؤثر على تصرفاتنا .

- لم تقل لنا العمة لورا قط بطريقة واضحة كيف ستترك أموالها .
- هذا لا يهم ، فالمحتمل انها ستقوم بتقسيمها بيننا .. ولكن إذا كانت
مثلاً قد تركت كل مالها أو معظمه لك لأنك قريبتها فاني مع ذلك سأتقاسمه
معك لأنني سأتزوجك .. وإذا كانت الحبيبة المعجوز تظن انه من الأفضل أن
تذهب معظم ثروتها إلى الرجل كمثل لال ويلسان فهذا حسن أيضاً لأنك

ستتزوجيني .

واتبع ذلك بابتسامة عريضة وهو ينظر اليها في اعزاز ، ثم قال :

- ومن حسن الحظ أن كلا منا يحب الآخر .. انك تحبينني .. اليس كذلك يا اليانور ؟

- بلى ..

- إنني أظن زواجنا سيكون مثالياً .. فكل منا يحب الآخر باعتدال .. ونحن أيضاً صديقان مخلصان .. ولنا ميول متوافقة .. ويعرف كل منا الآخر جيداً .. ولنا كل المميزات التي يجب توافرها في أبناء العمومة بدون النقائص التي فيهم .. وانني لا يمكن أن أشعر بالملل منك لأنك مخلوق يصعب السيطرة عليه أما أنت فقد تشعرين بالملل مني .. لأنني شخص « عادي » ..

وهزت اليانور رأسها لتقول :

- انني لن أشعر بالملل منك قط يا رودى ..

- يا حبيبتي ..

ثم قبلها .. وقال :

- ان لدى العمه لورا فكرة عما بيننا على ما أظن ألا ترين انه يحسن بنا الذهاب لزيارتها .

- هذا ما كنت أفكر فيه من أيام قلائل لأننا ..

وأكمل رودى كلامها .

- منذ أصيبت بتلك النوبة كنا نذهب اليها كل اسبوعين تقريباََ وها قد مضى علينا حوالي شهرين لم نذهب فيها اليها .

- لو انها طلبت منا زيارتها لذهبنا في الحال .

- نعم بطبيعة الحال .. نحن نعرف انها تحب الممرضة اوبريان وأنها ترعاها جيداً .. ومع ذلك .. فربما كنا مقصرين بعض الشيء .. وكلامي هذا ليس الدافع اليه الوجهة المالية بل الوجهة الانسانية .

وأومات اليانور برأسها إيجاباً ..

- أعلم ذلك ..

- وعلى ذلك فإن الخطاب القدر قد نتج عنه شيء طيب .. إذ علينا أن نذهب الى العمه لورا لنحافظ على مصالحنا ولأننا مشغوفون بتلك المرأة العجوز الحبيبة ..

وأشعل رودى عود ثقاب وقربه من الخطاب الذي تناوله من يد اليانور ..

ثم تتم :

- ترى من الذي كتبه ؟. يظهر انه شخص يعمل لمصلحتنا .. وربما يكون بعمله هذا قد قام بعمل طيب لنا .. ومن يدري فقد توصي العمه لورا بأموالها للطبيب الجديد الذي يقوم بعلاجها .

- حقاً ان العمه لورا تحب دكتور بيتر لورد الذي يعالجها الآن ، ولكن ليس الى هذا الحد .. ومع كل ذلك فإن الخطاب الكريه قد جاء فيه ذكر فتاة .. ولا بد انها ماري ..

فقال رودى :

- سنذهب لترى بأنفسنا ..

خرجت الممرضة أوبريان من غرفة مسز ويلمان .. وقالت للممرضة هوبكنز :

- سأضع اناء الشاي فوق النار لأنني أظن انك محتاجة الى قدح من الشاي ..

فاجابت الممرضة هوبكنز :

- حسناً يا عزيزتي .. انني دائماً لا أمانع في قدح من الشاي الثقيل .

وقالت الممرضة أوبريان بعد أن ملأت الاناء بالماء وأشعلت الموقد تحته :

- إن لديّ في هذا « الدرلاب » كل شيء .. اناء الشاي والأقداح والسكر

كما أن « أرتا » تجلب اليّ لبناً طازجاً مرتين في اليوم وبذلك ليس هناك ما يدعو

الى قرع الأجراس ..

وكانت الممرضة أوبريان طويلة القامة تناهز الثلاثين من عمرها ذات شعر أحمر وأسنان ناصعة البياض وابتسامة ساحرة وقد أحبها مرضاها لروحها المرحة ونشاطها . أما الممرضة هوبكنز فقد كانت الممرضة الرسمية للحي وكانت تحضر صباح كل يوم لتقديم مساعدتها في ترتيب الفراش واستحمام السيدة العجوز المدينة ، وكانت في أواسط العمر وتمتاز بمظهرها الدال على الكفاية والحزم .

وقالت الممرضة هوبكنز في رضاء .

- كل شيء يتم على ما يرام في هذا المنزل .

وأومات الممرضة الأخرى برأسها إيجاباً .

- نعم .. ان بعض الأشياء قديمة .. فلا توجد تدفئة مركزية ولكن هناك مواقد كثيرة والخدم يتسمون بالطاعة ، كما ان مسز بيشوب تشرف عليهم جيداً .

فقالت الممرضة هوبكنز :

- انني لا أطيق فتيات هذه الأيام فمعظمهن لا يعرفن ماذا يردن ولا يمكنهن

أداء عملهن بصورة مرضية .

وعقبت الممرضة أوبريان قائلة :

- ان ماري جيرارد فتاة لطيفة .. ولا أعرف حقاً ماذا تعمل مسز

ويلمان بدونها .. هل لاحظت كيف سألت عنها الآن ؟ .

- أنا آسفة لماري فإن والدها العجوز يبذل قصارى جهده لإيلامها .

- ليست عنده كلمة طيبة واحدة يقولها لها .. ها هوذا الماء قد بدأ يغلي

وسأبدأ بوضع الشاي .

وبعد قليل كان الشاي قد أعد وصب في الأقداح ساخناً قوياً وجلست

الممرضتان ترشقانه في حجرة الممرضة أوبريان المجاورة لغرفة نوم مسز ويلمان ..

وقالت أوبريان :

- سيحضر مستر ويلمان ومس كارليسلى اذ وصلت منهما برقية بهذا المعنى صباح اليوم .

فقالل المرضة هوبكنز :

- آه .. إذن هذا هو السبب الذي كانت من أجله السيدة المعجوز في حالة شوق وترقب .. ألم يمر وقت طويل منذ آخر مرة حضرا فيها إلى هنا ؟ .
- شهران أو أكثر .. ان مستر ويلمان شاب ظريف .

وقالل المرضة هوبكنز :

- اما انا فقد رأيت صورة الفتاة منذ أيام في إحدى المجلات .
وعقبت المرضة اوبريان قائلة :

- انها فتاة معروفة جيداً في المجتمع وترتدي دائماً ملابس انيقة .. اتظنين انها حقاً جميلة ؟ .

فردت المرضة هوبكنز :

- من الصعب ان تعرفي حقيقة شكل الفتيات تحت وسائل التجميل الحديثة .. وفي رأيي ان الفتاة ليست لها ملاحظة ماري جيرارد .
وضمت المرضة اوبريان شفيتها ومالت برأسها ثم قالل :
- ربما تكونين على حق ان ماري اجمل ولكن تنقصها الأناقة .

- ان الريش الجميل يجعل الطيور جميلة .

ومرة اخرى ملئت اقداح الشاي ثم اقتربت المرضتان أحدهما من الأخرى .. وقالل المرضة اوبريان في همس :

- حدث ليلة أمس شيء غريب فقد ذهبت في الثانية صباحاً كالعادة للاطمئنان على المعجوز فوجدتها مستيقظة ولكن لا بد انها كانت تحلم قبل ذلك لأنني لحظة ان دخلت غرفتها سمعتها تقول : « الصورة لا بد ان احصل على الصورة » ..

فقلل : طبعاً يا مسز ويلمان .. ولكن اليس من الأفضل ان تنتظري

حتى الصباح ؟ .

وهنا قالت :

- لا . انني أود ان أراها الآن .

- حسناً ، وأين هي تلك الصورة ؟ أتعنين صورة مستر رودريك ؟ .

- رودريك ؟ كلا ، صورة لويس .

ثم بدأت تتحرك فذهبت اليها لأجلسها ثم أخرجت مفاتيحها من الصندوق الذي يجوار فراشها وطلبت مني أن افتح الدرج الثاني من « الدولاب » حيث وجدت صورة كبيرة في إطار فضي وكانت لرجل جذاب كتب على جانبيها اسم لويس .. كانت صورة قديمة العهد بطبيعة الحال فأخذتها اليها حيث أمسكت بها ومضت تحقق فيها وقتاً طويلاً وهي تتمتم :

- لويس .. لويس ..

ثم تسهدت وأعطتني الصورة وطلبت مني وضعها في مكانها وعندما استدرت كانت العجوز الطيبة قد عادت الى نومها وكأنها طفل صغير ..
- أتظنين انه كان زوجها ؟ .

- لا .. لأنني سألت مسز بيدشوب صباح اليوم بطريقة لا تثير الانتباه عن اسم ويلمان فقالت لي انه كان يدعى هنري ..

وتبادلت الممرضتان النظرات ثم قالت الممرضة هوبكنز :

- لويس .. لويس .. عجباً ! انني لا أذكر انني سمعت هذا الاسم في هذه الأثناء .

- لا تظني ان ذلك كان منذ أعوام عديدة .

- نعم .. وبطبيعة الحال فانني لم أحضر إلى هذه المنطقة إلا منذ عامين فقط .. و ..

فقاطعتها الممرضة أوبريان :

- أنه شخص جذاب أنيق .. ومظهره في الصورة يدل على أنه ربما كان

(٢) المتهمة البريئة

ضابطاً في سلاح الفرسان ..
ورشفت الممرضة هوبكنز من الشاي ثم قالت :
- هذا أمر مثير جداً ..
فقالت الممرضة أوبريان في لهجة حاملة :
- ربما كانا فق وفتاة بينهما والد قاس .
فتمتت الممرضة هوبكنز :
- وربما قتل خلال الحرب ..

* * *

وعندما غادرت الممرضة هوبكنز المنزل أسرعَت ماري جيرارد وراءها
وقالت لها :
- هل يمكنني أن أسير معك حتى القرية ؟ .
- طبعاً يا عزيزتي ماري .
فقالت ماري وهي تلتقط أنفاسها :
- يجب أن أتحدث اليك .. انني مشغولة جداً وقلقة .
فنظرت اليها المرأة الأخرى في حنان ..
وكانت ماري في الحادية والعشرين من عمرها ، جميلة كالوردة المتفتحة ،
ذات عنق رقيق طويل ، وشعر ذهبي باهت متموج بطبيعته ، ولها عينان
زرقاوان داكنتان .
- ما الأمر ؟ .
- الموضوع ان الوقت يمر ويمر ويمر وأنا لا أفعل شيئاً ..
- أمامك وقت طويل لذلك ..
- كلا .. ولكنني هذا يقلقني .. لقد كانت مسز ويلمان كريمة معي ..
فقد هيات لي الذهاب الى المدارس الراقية وأنا أشعر الآن أنه يجدر بي أن

أبدأ بكسب عيشي .. يجدر بي أن أبدأ بالتدرب على شيء ما .
ولقد حاولت أن اشرح مشاعري لمسز ويلمان ولكنني وجدت ذلك أمراً
صعباً إذ يظهر انها لا تفهم مشاعري فهي تردد أن هناك فسحة من الوقت
لذلك ..

فقالت الممرضة :

- تذكري إنها امرأة مريضة ..

واحمرت وجنتا ماري وقالت :

- أعرف ذلك .. وأظن أنه يجدر بي ألا أسبب لها ضيقاً .. ولكن هذا
أمر يقلقني وأبي يسخر مني لذلك ، ويقول إنني اعيش عاطلة كالأثرياء والحقيقة
انني أحب ان اقوم بعمل ما .

- أعرف ذلك

- والمشكلة هي ان التدريب يكلف كثيراً .. وأنا أعرف اللغة الالمانية
الآن جيداً ويمكنني الإفادة من ذلك ولكنني في الحقيقة اظن اني أود لو كنت
ممرضة في مستشفى ما إذ اني أحب مهنة التمريض .

- وما رأيك في التديك ؟ انه يدر على العاملين فيه نقوداً كثيرة ..

- ولكن التدريب عليه يكلف كثيراً .. أليس كذلك ؟ لقد كنت آمل ..

ولكن هذا يعتبر جشعاً مني بعد أن فعلت الكثير من أجلي .

- أتعنين مسز ويلمان ؟ هراء .. في رأي أنها مدينة لك بذلك فقد أعطتك

ثقافة عالية ولكنها ليست الثقافة التي تفيد صاحبها كثيراً .. ألا ترغبين في
التدريس ؟

- لست بارعة إلى هذا الحد .

- إذن اليك نصيحتي .. كوني صابرة في الوقت الحاضر يا ماري .. وفي

رأيي - كما قلت لك - ان مسز ويلمان مدينة لك وأن عليها ان تساعدك على
البدء باكتساب رزقك ، وانا لا اشك في انها ستفعل ذلك فهي مشغوفة بك

ولا تريد أن تفقدك .

- أوه .. اتظنين حقاً ان الامر كذلك ؟ .

- لا يخالجي في ذلك أقل شك .. فها هي ذي امرأة عجوز عاجزة مشلولة جزئياً ، ولا يوجد شيء أو شخص ما يسرها ، فمن الطبيعي ان وجود فتاة جميلة يانعة معها في المنزل يعني بالنسبة اليها الشيء الكثير وخاصة انك « تتميزين » بطريقة جميلة في معاملة المرضى .

فقالت ماري في رقة :

- الحق اني مشغوفة جداً جداً بالعزيزة مسز ويلمان .. فلقد كانت طيبة معي وانا على استعداد لعمل أي شيء في سبيلها ..

- إذا كان الأمر كذلك فأفضل شيء يمكنك عمله هو البقاء حيث أنت ودعي القلق ولن يستمر الأمر طويلاً ..
- ماذا تعنين ؟

- إنها الآن في صحة جيدة ولكن لن يستمر ذلك طويلاً .. ستصاب بنبوة ثانية ثم نبوة ثالثة .. واني أعرف ذلك جيداً .. فكوني صابرة يا عزيزتي إذ انك إذا ملأت الأيام الأخيرة سعادة للسيدة العجوز فان ذلك أمر افضل من غيره .. أما ما عدا ذلك فله وقته فيما بعد ..

- أنت طيبة جداً ..

فردت عليها المريضة هوبكنز قائلة :

- اني أرى والدك خارجاً من المنزل .

كانتا وقتئذ قد اقتربنا من البوابة الحديدية الضخمة للمنزل .
وكان هناك رجل كبير السن محني الظهر قادم نحوها .. فقالت له المريضة هوبكنز في انشراح :

- طاب صباحك يا مستر جيرارد

فكان رد افرام جيرارد في جفاء :

- آه ..

- جو جميل ..

- ربما كان ذلك بالنسبة لك .. ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي .. فان

اللمباحو يؤلمني ..

- ذلك على ما أظن نتيجة الجو الرطب الذي انتشر في الأسبوع الماضي ..

أما هذا الجو الجاف الموجود الآن فسيزيل في القريب آلامك ..

ويظهر أن لهجتها المتسمة بالخبرة قد ضايقت الرجل العجوز لأنه

أجابها قائلاً :

- ممرضات ممرضات . كلكن سواء .. تمتلئن انشراحاً لمتاعب

غيركم .. ثم تأتي ماري وتقول إنها هي الأخرى تريد أن تصير ممرضة .

فردت عليه ماري بحدة :

- نعم .. أريد ان اكون ممرضة في مستشفى .

نعم .. والأفضل ألا تعلمي أي شيء على الاطلاق .. اليس كذلك ؟

يكفيك ان تسيري وكأنك سيدة عالية المقام والا تفعلني شيئاً .. الكسل هو

الشيء الذي تحببينه يا ابنتي .

فقالت ماري محتجة والدهوع في مآقيها :

- هذا ليس صحيحاً يا أبي ، وليس من حقك ان تقول لي ذلك .

وهنا تدخلت الممرضة هوبكنز بلمهجة تحاول ان تبعث بها المرح :

- من الواضح ان الجو قد اثر علينا هذا الصباح .. أليس كذلك ؟ انك

لا تعني ما قلت حقاً يا جيرارد .. فماري فتاة طيبة وابنة كريمة

فنظر جيرارد الى ابنته نظرة من يتمنى لها السوء وقال :

- اني لا أعدها ابنتي ..

ثم استدار ومشى إلى داخل المنزل .
وهنا قالت ماري والدموع في عينيها :
- .. انه في الواقع لا يحبني حتى عندما كنت طفلة صغيرة اذ كانت
أمي دائماً تدافع عني .
فردت عليها المرضة هوبكنز في حنان :
- كفى . كفى .. لا تقلقي ، وعلينا أن نجتاز هذه المحن الصغيرة .
يا لله ! علي أن اسرع حتى اتم جولتي الصباحية .

الفصل الثاني

رقدت مسز ويلمان في فراشها متكئة على وسائد رقدت في عناية واهتمام ،
وكانت أنفاسها متثاقلة ولكنها لم تكن نائمة بل ظلت تحملق في السقف بعينيها
الغائرتين الزرقاوين ، وهي امرأة مكننزة الجسم جميلة الحياء ، يرتسم العزم
والاعتداد في وجهها الذي لم تجعده يد الزمن والمرض .

وأخيراً استقرت عيناها على ماري الجالسة بجوار النافذة ثم غمغمت باسمه
حانية : أهذه أنت يا ماري !!

فاستدارت اليها الفتاة على الفور قائلة :

- أوه .. هل استيقظت يا مسز ويلمان :

فأجابتها لورا ويلمان :

- نعم .. منذ قليل

- أوه .. لو كنت أعرف لما ..

- شكراً .. شكراً .. كنت فقط أفكر في أشياء كثيرة ، اني مغرمة

بك يا عزيزتي وانك تساوين عندي كثيراً .

- هذا فضل منك يا مسز ويلمان .. ولا أدري ماذا كنت أصنع الآن

لولا عطفك وحنانك ورعايتك . لقد فعلت من أجلي كل شيء .

فقلت العجوز في قلق ، ويمناها إلى جانبها فاقدة الحراك :

- لا أدري .. لا أدري . ان الانسان يود أن يعمل أفضل الامور ،
ولكن من الصعب ان يعرف خيرا واصوبها .

- أنا واثقة انك آثرتني بأفضل واصوب الأمور .

فهزت المريضة رأسها وقالت :

- كلا ، كلا .. انه يتمشى في دمي شيطان الكبرياء الذي انحدر الي عن
طريق اسرتي كما انحدر الى ابنة أخي اليانور أيضاً .

- سوف تدخل مس اليانور ومستر رودريك على نفسك السرور بمجيئها .

- كم أحب هذين الطفلين !! انا واثقة دائما انها يجيئان بمجرد ان ادعوها ،
ولكنني لا أحب ان اطلبها كثيراً ، لأنها صغيران سعيدان ولا حاجة تدعو
إلى إدخال الأسى على قلوبهما قبل الأوان .

- وانا واثقة ان رؤيتهما لك ستسرهما كل السرور .

واستطردت مسز ويلمان تقول كأنما تحدث نفسها اكثر مما تحدث الفتاة :

- لقد كنت أرجو دائماً ان يربطها الزواج دون ان احاول اقتراح ذلك
لأن الشباب عنيد بطبعه ، ولقد تبيئت منذ كنا طفلين ان اليانور تحبه كثيراً
ولكنني لم أكن واثقة من ناحيته لأنه مخلوق متحفظ في كل شيء منذ صغره ،
وكذلك كان زوجي هنري من زمن بعيد ولكن الموت عاجله ولمساتمض على
زواجنا خمس سنوات ، مات بالتهاب رئوي مضاعف ، فشعرت بالوحدة وانا
في السادسة والعشرين من عمري ، وانا الآن قد تجاوزت الستين ، ويقعدني
الشلل ويجعلني كالطفلة بلا حول ولا طول .. ولولاك يا ابنتي لجننت من
هذا العجز .

- أنا سعيدة بأن ادخل بعض السرور على نفسك يا مسز ويلمان .

- أما مستقبلك فدعيه لي يا ابنتي ، وسأتكفل بأن أهيب لك اسباب
الاستقلال والعمل الذي يلائمك ، ولكن على أن تصبري قليلاً وتعتقدي ان

بقائك معي هـا يعني عندي اشياء كثيرة .

- اني اؤثر البقاء معك على الدنيا بأسرها .

- انت في منزلة ابنتي تماماً يا ماري ، وقد رأيتك تترعرعين هنا في

هنتبري الى ان غدوت فتاة جميلة افخر بها وارجو ان اكون قد بذلت

قصارى ما استطيع من اجلك .

- إذا كان والدي لا يروقه ما بلغته من التعليم فاني مدينة لك بهذا الفضل

الكبير ، واذا كنت اتلهمف على كسب قوتي فذلك فقط لأنني اشعر ان من

واجبي ان اسعى لإعالة نفسي ولأنني لا اطمع من ورائك في اكثر مما قدمته الي .

- لا تبالي بما يقوله والدك ، انا التي تلح عليك وترجوك ان تبقي هنا الى

ان ينتهي قريباً كل شيء .

- كلا يا مسز ويلمان ا ان الدكتور لورد يقول انك قد تعيشين سنين طويلة .

- هذا لا يهمني .. بل قد طلبت الى الدكتور لو يستطيع ان ينقلني الى

العالم الآخر بلا ألم . ولكنه لم يؤث الشجاعة الكافية ، وقال انه لن يخاطر

بالتعرض للمشنقة ولو اعطيته كل ثروتي .

- شكراً له .. ما هذا أهى السيارة ؟

ثم أسرع تطل من النافذة ، وعادت تقول :

- نعم السيارة التي تقل الآنسة اليانور ومستر رودريك .

* * *

واستقبلت العجوز ابنة اخيها بابتسامة مشرقة ، وهي تقول :

- يسرني ان اراك يا اليانور ومعك رودري .. التحبينه يا ابنتي .

- طبعاً ا .

- ساحميني يا عزيزتي - فأنت كما عرفتك - شديدة التحفظ ، ويصعب

ان يعرف الانسان فيم تفكرين ، وماذا تحسبن ، لقد شاهدتكما وانتما طفلان

صغيران ينمو الحب في قلبيكما وظلمت تهتمين به الى ان رأيتك تعودين من المانيا ، وكأنا اعترى عاطفتك نحوه بعض التغير ، والواقع اني اسفت لذلك كثيراً ، وخشيت هذه الظاهرة باكورة الاعتداد الشديد بالنفس الذي يسري في سماء اسرتنا .. اما الآن فقد أقررت بأنك تحبينه ، فأنا اشعر بالسعادة تملأ جوانحي .

- الواقع اني احبه يا عمتي ولكن ليس الى الحد الذي تتصورينه .
- كيف ؟ احدث شيء ينقص سعادتك ؟
- كلا ، ولكنني ادين بالرأي القائل ، دعي صديقك يخمن وحذار ان تجعليه واثقاً من انك تحبينه .

- يخيل لي انك لست سعيدة يا طفلي فماذا جرى ؟
- لا شيء على الاطلاق .

ثم مضت الى النافذة واستدارت قائلة :
- اخبريني صراحة يا عمتي : اترين الحب يجلب السعادة .
- بالمعنى الذي تقصدينه ربما كلا ، لأن شدة التعلق بانسان تورث الهم اكثر مما تجلب السعادة ، ولكن الحب في الوقت نفسه غذاء ضروري للروح وما عاش من لم يعرف طعم الحب .

وقبل ان تجيب الفتاة فتح الباب وقدمت الممرضة اوبريان تقول :
- لقد جاء الدكتور لعيادتك يا مسز ويلمان .
ودخل الطبيب بوجهه الذي تشوبه بعض الدمامة وقد تألقت عيناه الزرقاوان ببريق الذكاء .. وكان لا يعدو الثلاثين من عمره فقال :
- طاب صباحك يا مسز ويلمان .
- طاب صباحك يا دكتور لورد .. هذه ابنة اخي مس اليانور كارليس
فوثب الاعجاب الى وجه الطبيب الشاب ثم قال :
- كيف حالك ؟

ثم ضغط يد الفتاة في كفه كما لو كان يود تحطيمها ؟
واستطردت العمه تقول :

- لقد جاءت اليانور لترفه عني في وحدتي .
فقال :

- حسناً فعلت ! هذا نفس ما تحتاجين اليه ، انا واثق ان هذا سيعود
عليك بتحسن كبير .

وكان لا يزال يرنو الى الفتاة وبريق الاعجاب يتألق في عينيه الشاقبتين
وقالت اليانور وهي تتحرك نحو الباب .

- قد اراك يا دكتور قبل ان تنصرف .
فتمتم : طبعاً ، كما تشائين !

وقالت مسز ويلمان : أظن أننا يجب ان نبدأ الروتين العادي : نبض
وتنفس ودرجة الحرارة والضغط ، يا لكم من أفاقين يا معشر الأطباء !

فضحك الطبيب عالياً ، ثم القى عليها الأسئلة التي اعتادتها منه في كل
مرة وقال :

- أنت تتحسنين باطراد يا سيدتي !

- أسيكون في وسمي السير في أنحاء المنزل في مدى أسابيع ؟

- ليس بهذه السرعة .

- إذن ما فائدة الحياة أيها الأفاق إذ قضتها امرأة مثلي في فراشها ليعنى بها

الآخرون كالطفلة الصغيرة !

- فائدة الحياة ، إن الانسان يعيش لأن به غريزة حب الحياة فحسب ،

أما أولئك الذين حصلوا على كل شيء يعيشون من أجله فانهم يتركون نفوسهم

تذوى وتقنى لأنهم لم يعد لديهم الرغبة في الكفاح والنضال .

- استمر في فلسفتك .

- أنت إحدى من يردن الحياة معها قلت وإذا كان جسمك يرغب في الحياة

فلا يجب أن يتجه العقل اتجاهاً آخر .

ثم نهض قائلاً :

- آن لي أن أذهب من هنا .

- ابنة أخي تريد ان تتحدث اليك كما قالت ، وهذه المناسبة ما رأيك فيها .

فتضرجت وجنتاه فجأة وقال :

- أنا .. أوه !. إنها غاية في الجمال وتبدو عليها مخايل الذكاء .

وكان رودى يتجول في الحديقة الى أن بلغ حقل الخضر ، وراح يتساءل

ترى هل قدر له أن يعيش واليانور في هذا الريف الجميل يوماً ما ؟ وكان يخشى

أن تؤثر خطيبته الإقامة في لندن ، وما لبث ان تتم قائلاً :

-- إنها كاملة في كل شيء ولا ينقصها شيء ، إنها تسر العين بجمالها الفاتن

وتطرب الأذن بحديثها الطلي الذكي ومن حسن حظي أن ظفرت بها .

ذلك أن رودريك لم يكن في الواقع ممن يغترون بأنفسهم فما لبث أن غمغم

بين شفتيه . لا ادري ماذا اعجبها في حقى تحبني كل هذا الحب ؟!

ولم يشأ ان يطالبها بالزواج في الحال بل ترك لها ان تختار الموعد الذي

يروقها ما دام واثقاً بأنها متيمة به ، تكاد تعبده عبادة رغم ما يغلب عليها

أحياناً من التحفظ وعدم الإسراف في إظهار وجدها بدافع من تعاليمها الموروثة

ومضى إلى الحديقة المسورة خلال بوابة في النهاية البعيدة ، ثم راح يتجول

في للغابة الصغيرة الزاخرة بزهور الربيع .

وتقدمت نحوه من بين الأشجار فتاة ما أن شاهد شعرها الأشقر ووجهها

الصبيح حتى هتف لنفسه قائلاً :

- حقاً ما أجملها وأروعها !

وشعر بشيء يمسك به وكأنما تخدرت أوصاله ، وراح يحملق في الفتاة

وكأنه عابد في محراب ، ووقفت الفتاة فجأة ثم اتجهت نحوه وهو ما زال

فاغراً فيه وسألته في تردد :

- الا تذكرني يا مستر رودريك ؟ لقد انقضى وقت طويل بلا شك أنا
ماري جيرارد التي تقيم في الكوخ .
- أوه ، أوه أنت ماري جيرارد ؟
- نعم .
وتولاه الحياء فقالت :
- لقد تغيرت كثيراً منذ رأيتك ولذلك لم تعرفني .
- نعم تغيرت كثيراً .
ووقف يحملق فيها ولم يسمع خلفه وقع أقدام اليا نور تقترب منه والتفتت
ماري إلى اليا نور التي ما لبثت أن هتفت :
- هالو . ماري !
فابتسمت هذه وقالت :
- كيف حالك يا مس اليا نور ، اني مسرورة برؤيتك لقد كانت مسز
ويلمان تتلهف على مجيئك .
- شكراً ! لقد ارسلتني الممرضة أوبريان لأبحث عنك لأنها تريد أن
ترفع مسز ويلمان وتقول انك التي اعتدت القيام بذلك .
- سأذهب في الحال .
وأسرعت تجري بينما اليا نور ترمقها وتتأمل قامتها الرشيقة ، وتمتم خطيبها :
- لقد اعدت رائعة الجمال ؟
فلم تجب اليا نور بل ظلت صامتة لبضع لحظات واخيراً قالت ذاهلة :
- حان وقت الغداء ، يحسن أن نعود .
وسارا جنباً إلى جنب في طريقهما الى المنزل دون ان يتبادلا كلمة واحدة

* * *

- تعالي يا ماري ، انه فيلم عظيم يدور كله حول باريس .
- أشكرك كثيراً يا تيد ولكنني لا أستطيع .

- فاحتقن وجه (تيد بيجلاند) بالغضب وصاح :
- لم اعد اقوى على حملك في هذه الأيام على الخروج معي ا
لقد تغيرت كثيراً جداً .
- كلا ، لم اتغير قط يا تيد .
- كل ذلك لأنك دخلت مدرسة عالية بألمانيا ولم تعودى تحفلين بنا!!
- هذا غير صحيح . أنا لست من هذا الطراز يا تيد .
- وتطلع اليها الشاب في إعجاب رغم غضبه ثم قال :
- نعم .. لقد غدوت (سيدة) بكل معنى الكلمة ، انك تشبهين
(كونتيس) او دوقه .
- وظهرت لهما إذ ذاك مسز بيشوب بقامتها المديدة وثوبها الأسود الجميل
وحدجتها بنظرة حادة فتحرك الشاب خطوتين جانباً وقال :
- طاب يومك يا مسز بيشوب .
- فمالت برأسها الجميل وقالت : مساء الخير يا تيد .. مساء الخير يا ماري .
- ثم مرت اشبه بالمركب الشراعي فتأملها تيد في احترام وتمتمت ماري :
- إنها للأسف لا تحبني وتتعمد ان تخاطبني بلهجة جارحة .
- إنها تغار منك .. هذا كل ما هنالك .
- ربما كان هذا هو السبب .
- بل لا سبب غير ذلك .. لأنها قضت سنوات طويلة تسأمر وتهيمن في
هنتربري ثم ها هي تراك قد احتلت المكانة الكبرى عند العجوز مسز ويلمان ا
- لا ذنب لي في ذلك ، وكل ما اتمناه ان يحبني كل إنسان .. لقد تأخرت
يا تيد ويجب ان اذهب ..
- إلى اين ؟
- سأتناول الشاي مع الممرضة هوبكنز .
- فقال متجههم الأسارى متقززاً :

- مع ذات الانف الطويل واللسان الثرثار ١٢

- الى اللقاء يا تيد .

وكانت الممرضة هوبكنز تقيم في كوخ صغير في نهاية القرية ، وكانت اذ
ذلك تخلع قبعاتها لانها كانت في الخارج وعادت لتوها فلما شاهدت ماري قالت :
- لقد ساءت حال العجوز مسز كالديكوت مرة اخرى ، وانا قادمة على
الفور من عندها . لقد شاهدتك مع تيد بيجلاندي في نهاية الطريق ، هل كان
يسر اليك شيئاً خاصاً ؟

- كلا . . تيد طلب اليّ ان ارافقه الى السينما .

- انه شاب لطيف وعمله بالجراج لا بأس به ، كما ان اياه من انشط الفلاحين
هنا . . ولكن في الحقيقة بتعليمك وثقافتك لا تستطيعين ان تكوني زوجة له
ولو كنت في مكانك لتدربت على التدليك عندما يحين الاوان .
- لقد صارحت مسز ويلمان بذلك اخيراً فلم تشأ ان ابتمد عنها وطلبت
اليّ الا اهتم بالمستقبل لانها ستمينني عليه .

وكأنما ارادت ماري ان تغير مجرى الحديث فقالت :

- اتعتقدين ان مسز بيشوب تكرهني ام ان هذا وهم مني ؟

- يخيل اليّ انها تكره الشباب ولا ترضى ان ينعم احد دونها بربيع العمر
ومرحه ونشاطه ولعلها تنفس عليك ما تراه من ان مسز ويلمان مفرمة بك كثيراً .
ثم ضحكت وقالت :

- لو كنت في مكانك ما اهتممت بشيء ، افتحي هذه الورقة يا عزيزتي

والتهمي كعكتين مما فيها .

الفصل الثالث

« أصيبت عمّتك بنوبة ثانية في الليلة الماضية .. لا داعي للقلق العاجل ولكنني اقترح ان تحضري إذا أمكن . الامضاء : دكتور لورد » .

وما أن تلقت البيانور هذه البرقية حتى بادرت تتحدث تليفونيا إلى (رودى) ، ثم استقلا اول قطار الى هنتربري ، وكانت لم تر خطيبها في الأسبوع الذي انقضى منذ عودتها من هنتربري إلا مرة واحدة ، كان لقاؤهما في أثنائها قصيراً ، كما انه - على غير عادته - أرسل لها باقة من الورد ا وراح في الطريق يتودد لها ، وكأنما كان يمثل دور الخطيب المدله ، بينما كان حديثها معه اكثر اعتماداً وتشائخاً .

قال في نبرات تفيض بالأسى :

- مسكينة عزيزتنا المعجوزة ! لقد كانت بخير عندما غادرناها .

فأجابته البيانور :

- إنها تكره المرض ، ويخيل اليّ ان كثيراً من المرضى أولى بأن ينقذوا

من آلامهم وأن ينعموا بالراحة التي ينشدونها .

- الواقع ان هذا خير ما يجب أن تعمله المدنية ، وإذا كنا أحياناً نريح

الحيوان من آلامه ، فالانسان أولى بذلك لولا ان أباحة هذه النظرية تمكن

- الأقارب من القضاء على مورثهم بحجة إراحته من آلامه المبرحة .
- يمكن أن يترك هذا لحكم الطبيب .
- قد يكون الطبيب وغداً .
- نعم ، ليس جميع الأطباء في استقامة الدكتور لورد .

* * *

وكان الدكتور لورد منجنيماً على فراش المريضة وخلفه الممرضة أوبريان ، وكان يحاول أن يفهم معنى كل صوت ينبعث من بين شفتي العجوز ويقول :

- نعم .. على مهلك . فقط ارفعي يدك اليمنى قليلاً إذا اردت أن تقولي « نعم » . هل يشغلك شيء ؟

فرفعت يدها اليمنى قليلاً علامة الايجاب ، فعاد يسألها :

- أهو شيء عاجل تريد أن تعمله ؟ أنرسل الى أحد ؟ الى مس اليانور ؟ ومستر ويلمان ؟ انهما في طريقتهما الى هنا .

وبعد أن ترك المريضة الواهنة تستريح لحظة عاد يسألها على طريقته :

- أنت لا تريدين مجيئها ؟ أتريدين شخصاً آخر ؟ أهو قريب ؟ شخص تربطك به أعمال ؟ عمل خاص بمسائل مالية ؟ المحامي ؟ أتريدين مقابلته حسناً جداً ! ماذا تقولين ؟ اليانور ؟ أتريدين أن تقولي انها تعرف المحامي وتستطيع أن تعد معه الأمور ؟ حسناً .. سوف تكون هنا قبل نصف ساعة . سأخبرها بما تريدين ، اتركي هذا لي .

وتبعته الممرضة اوبريان إلى الخارج ، وكانت الممرضة هوبكنز ترتقي الدرج فأوماً لها برأسه فقالت عندما بلغت :

- طاب مساؤك يا دكتور .

- طاب مساؤك .. تعالي معنا ..

ثم دخل بهما إلى حجرة أوبريان التالية حيث القى عليهما بعض التعليمات

وأمر هوبكنز بأن تعمل طوال الليل وأن تتناوب السهر مع زميلتها أوبريان
ثم قال :

- أرجو ان أتمكن غداً من احضار ممرضة مقيمة فقد استنفدت الدفترية
اللينة معظم الممرضات في ستامفورد .

ثم هبط الدرج لاستقبال ابنة الأخ وخطيبها ، وفي الردهة قابل ماري
جيرارد بوجهها الشاحب وأساريرها القلقة فقال لها يهدىء خاطرها :
- ستنام الليلة نوماً هادئاً ..

* * *

صاحت اليانور عندما دخلت غرفة الاستقبال :

- هل حالتها في غاية السوء ؟

وكان رودى شديد الامتقاع فقال الطبيب :

- يؤسفني أن اقول انها أصيبت بشلل كامل وان لسانها يكاد لا يقوى على
النطق .. وبهذه المناسبة انها تتلف الى رؤية محاميتها فهل تعرفينه يا مس
اليانور ؟

- نعم . انه مستر سيدون ولكنه لن يكون موجوداً بمكتبه في مثل
هذا الوقت من المساء ولا أعرف عنوان منزله .

- إذن نرجى ذلك للغد صباحاً .. ومن صالحها الا نزعجها الليلة بقدر
الامكان تعالي يا آنسة فقد نتمكن من بعث الطمأنينة في نفسها .

- طبعاً .. سأصعد معك في الحال .

وسألها رودى في شيء من التخاذل :

- أتريديني معك ؟

وكانت تعرف انه يكره أن يرى المريضة طريحة الفراش بلا حول ولا
قوة فأجابته :

- لا داعي لذلك .. ويحسن ألا تردحهم غرفة المريضة .
فتنفس الصعداء ؛ وصعدت الفتاة مع الطبيب حيث وجدنا المريضة
أوبريان مع العجوز وكانت هذه تتنفس في صعوبة وعمق وسرعان ما
انبسطت أساريرها عندما فتحت عينيها وشاهدت اليانور ثم تمتت باسمها في
صعوبة فقالت الفتاة :

- أنا هنا يا عمي ، أتريدن أن ارسل في دعوة مستر سيدون ؟ ماذا
تريدن ؟ ماري جيرارد ؟ هل أدعوها ؟ إذن ماذا ؟
وجاهدت المريضة حتى نطقت بكلمة « ذخيرة » فقالت ابنة أخيها :
- ذخيرة ؟ أتعنين انك تريدن أن تتركي لها بعض المال في وصيتك ؟
هذا سهل جداً فسوف يأتي مستر سيدون في الصباح وسنعد كل شيء يحقق
رغبتك ..

فبدأ الارتياح على المريضة وتبددت من نظراتها الضارعة امارات الضيق
والخوف . وأمسكت اليانور بيدها فشمرت بأصابعها الهزيلة الناحلة تضغط
راحتها بالشكر والارتياح ، وعادت العجوز تغمض عينيها فوضع الطبيب يده
على ذراع الفتاة وجذبها برفق إلى خارج الغرفة واستعادت المريضة أوبريان
مقعدها بجوار الفراش ..

وفي الخارج على درج السلم كانت ماري جيرارد تتحدث مع المريضة
هوبكنز فما ان شاهدت الطبيب حتى سألته ضارعة :

- هل أستطيع ان ادخل اليها يا دكتور لورد ؟
فأوما برأسه وقال :

- في هدوء .. بحيث لا تزعجينها ..

فدلقت إلى حجرة المريضة ، وعينا اليانور ترمقانها بحيث لم تسمع كلمات
الطبيب الذي كان يتحدث اليها ، وما لبثت أن أفاقت لنفسها وقالت :

- معذرة يا دكتور .. ماذا كنت تقول !
وتولاه الارتباك فأجاب :
- ماذا كنت أقول ؟ لا أتذكر .. الواقع أن مجيئك هو أحسن ما
حدث اليوم .

- لقد آلمني أن أراها هكذا ..
- يبدو أنك تعرفين كيف تمسكين زمام عواطفك لأنه لم يظهر عليك
مبلغ هذا التأثير الكبير ..
- لقد تعلمت كيف أخفي مشاعري عند الحاجة ..
فقال الطبيب في تودة :

- سوف ينحسر هذا القناع يوماً ما ..
ومرقت المريضة هوبكنز إلى الحمام ، ورفعت «البيانور» حاجبها الرقيق
وتأملت وجهه قائلة :

- القناع ؟
- إن الوجه البشري قناع لا أكثر ولا أقل .
- وماذا تحته ؟
- الرجل أو المرأة البدائية .
فاستدارت بسرعة وتقدمته تهبط الدرج فتبعها وهو نهبة الحيرة والارتباك
وخرج روذي إلى الردهة لاستقبالها وسألها في لطفة :
- كيف الحال ؟

فقالت البيانور :
- إن منظرها يبعث على الأسى ، لا تدخل حتى تسأل عنك .
- ألم تطلب شيئاً بصفة خاصة ؟
وإذ ذاك قال الطبيب للفتاة :

- يجب أن انصرف الآن فليس لدي هنا ما أعمله ، وسأعود مبكراً في صبيحة الغد ، لا تستسلمي لليأس يا مس كارليس إلى اللقاء .
وأمسك بيدها بضع لحظات وهو يرنو اليها في إعجاب ممتزج بالثناء لجزعها ، وعندما أغلق خلفه الباب كرر رودي سؤاله .
فأجابته :

- إن العمة تتنازعها بعض الشواغل الخاصة فطمأنتها إلى انني سوف استدعي مستر سيدون ليكون هنا في صبيحة الغد .
- أتريد أن تجدد وصيتها ؟
- لم تقل ذلك .
- إذن ماذا قالت ؟

وتوقف في منتصف السؤال لأنه رأى ماري جيرارد تجري هابطة درج السلم وتعبّر الردهة ثم تختفي خلف الباب ناحية المطبخ ، وسألته اليانور في صوت أجش :

- ماذا كنت تريد أن تسأل ؟
فغمغم في كلمات مبهمّة وهو يادي الاضطراب .
- أنا . ماذا ؟ لقد نسيت ما كنت أريد ان اقوله .
وكان لا يزال يحملق في الباب الذي دخلت منه ماري جيرارد فقبضت اليانور على راحتها في انفعال جعل اظافرها تنفذ في لحم كفيها ، وقالت لنفسها :

« هذا لا يحتمل !! هذا ليس رهاً أو خيالاً ولكنه الحقيقة المرة ..
رودي ! رودي ! لا يمكن أن افقدك ، او اسمح للملوكسة ان تنتزعك مني ! » .

ثم قالت بصوت هاديء مسموع :

- وماذا عن تناول الطعام يا رودي ! أنا لست جائعة وسأجلس مع العمّة حتى تتناول المرضتان طعامهما .
- هل سأتناول معهما العشاء !
- أتخشى ان تمضاك !
- ولماذا لا نتعشى معاً ثم تدعيهما تهبطان بعد ذلك !
- كلا .. دعني أصرف الأمور وفق ما أرى

الفصل الرابع

وفي الصباح تولت مسز بيشوب بنفسها ايقاظ اليانور من نومها وهي تبكي وتنتحب وتقول : لقد مضت يا آنسة .

— ماذا !

ووثبت الفتاة مرطعة في فراشها فعادت مسز بيشوب تقول :

— لقد توفيت عمته العزيزة في أثناء نومها .. لقد عاشرتها عشرين عاماً

ولم اكن أتوقع مثل هذا اليوم .

— نعمه من الله أن تموت العمه في اثناء نومها ميتة هادئة .

— ولكنها ماتت فجأة .

فانتبهت اليانور بحده :

— لم تمت فجأة لأنها كانت شديدة المرض ومن رحمة الله ، أن وضع جسداً

لآلامها وعذابها .

— ومن سيتولى إنهاء الخبر الى مستر رودريك .

— سأقوم بهذه المهمة بنفسى .

ثم قامت الى بابه فطرقته ودخلت وهي تقول :

— لقد ماتت العمه يا رودى . ماتت في نومها .

فجلس في فراشه وتنهد تنهدة عميقة وقال .
- مسكينة العممة العزيزة ! ولكني أحمد الله لأنني لم احتمل رؤيتها بالأمس
وهي تعاني سكرات الموت .
- لم أعرف انك رأيتها بالأمس .
فتولاه الخجل وقال :
- الحق يا اليانور اني دخلت في المساء أغالب جبني وكانت الممرضة البدينة
قد غادرت الغرفة لأمر ما ، ومعها زجاجة الماء الساخن على ما أذكر ، فتسللت
وتطلعت اليها ولما أحسست بالممرضة ترتقي الدرج مرة أخرى تسللت عائداً ،
لقد كان منظرها مؤلماً يمزق القلب !

* * *

قالت الممرضة أوبريان لزميلتها :
- ماذا ؟ أتبحثين عن شيء فقدته ؟
فأجابتها الممرضة هوبكنز وقد أربد وجهها وهي تبحث في حقيبتها التي
كانت قد وضعتها في المساء السابق بالردهة :
- لا أتصور حدوث هذا ؟ لقد كنت أضع أنبوبتي ، مورفين في الحقيبة
أعطيت مسز (اليزاريكن) واحدة قبل مجيء في الليلة الماضية وبقيت الأخرى
في الحقيبة ولكنني لا أجدها .
- الجشي عنها فهي صغيرة الحجم .
فعمادت الممرضة هوبكنز تقلب محتويات حقيبتها ثم قالت :
- كلا .. ليست هنا ، لا بد اني تركتها في دولابي وان كنت اجزم كذلك
بأنني اخذتها معي .
- ألم تتركي الحقيبة في مكان ما في طريقك إلى هنا ؟
- كلا .. انا واثقة اني لم أضعها الا في الردهة ، والذي يضايقني اني

سأضطر الى الذهاب اولاً الى منزلي في نهاية القرية للتحقق من امر الأنبوبة ثم اعود إلى هنا .

- في وقت انت أحوج ما تكونين فيه إلى الراحة من التعب الذي عانيته في الليلة الماضية .

* * *

قال رودريك ويلمان :

- أتعني ان العمة مانت دون ان تترك وصية ما ؟

فضقل مستر سيدون نظارته وقال :

- هذا هو الأرجح .

- هكذا يحسب الانسان ان لديه فسيحة من الوقت الى ان يسدده الموت ،

لم تتحدث اليك من قبل في هذا الشأن ؟

- كثيراً .

- وماذا قالت ؟

فتنهده مستر سيدون وقال :

- الأشياء العادية ، قالت ان هناك كثيراً من الوقت وكانت تكره ان

اذكرها بالموت .

فقالت اليانور في حيرة :

- ولكنها كانت ترغب في ان تموت .

- ان العقل البشري يا آنسة اليانور آلة عجيبة ، فقد تكون مسر

ويلمان فكرت او رغبة في الموت ولكن الأمل في ان تشفى وان تستعيد

صحتها كان يتمشى جنباً الى جنب مع تلك الرغبة ، واغلب الظن انها كانت

تتشاء من عمل وصية ، ولذلك كانت ترجى ذلك يوماً بعد يوم .

- إذن فهذا سر انزعاجها الشديد بالأمس وتلفها على مقابلتك عندما

- شعرت بدنو الأجل ؟
- ولكنها لم تتمكن من ترك وصية خاصة وبذلك سوف تؤول كل ثروتها اليك يا مس اليانور كارليس .
- كلها لي .. أنا ؟
- نعم عدا نسبة مئوية للدولة .
- ثم مضى يشرح لها التفاصيل وانتهى قائلاً
- أظن مستر رودريك ابن أخ زوج الراحلة ؟
- فأجابت الفتاة في ببطء دون أن تنظر الى خطيبها :
- نعم ، ولكن لا يهم أن أكون الوارثة الوحيدة لأننا سوف نتزوج
- بـ كذا !
- وبعد ان استأذن المحامي في الانصراف قال رودريك :
- يجب ان تعرفي جيداً اني لا انفس عليك أن تكوني الوارثة الوحيدة واني أمقت هذا المال .
- أذكر انك قلت في لندن انه لا يهم من منا يكون الوارث اليس كذلك ؟
- أجل .. أجل .
- وتطلع إلى قدميه وهو ممتقع الأسارير وتمتم :
- لا يهم . لا يهم !
- السننا سنصبح زوجين ؟
- فقال في غير اكتراث :
- هو ذلك يا اليانور ولكنني أراني تبدلت ولا أدري ماذا حدث لي !
- أنا أعرف السبب .
- يبدو اني لا أرتاح الى ان اعيش على نقود زوجتي .
- ولكنها صاحت في حدة وقد غاض الدم من وجهها :
- ليس هذا هو السبب ! . انه شيء آخر . ماري جيرارد اليس كذلك ؟

- أظن ذلك .. كيف عرفت ؟
- لم يكن الأمر صعباً لأن وجهك كان ينطق بهذا كلما وقعت عليها عينك
- الواقع انني لا أدري ؟ يخيل لي الآن انني جننت عندما رأيتها أول يوم
في الغابة وان رأسي دار وانني ..

- استمر .. استمر
- لم أشأ ان أقع في حبها لأنني كنت سعيداً معك . اغفري لي يا اليانور
أن أحدثك عنها هكذا .

- هراء ! استمر . اخبرني بكل شيء .
- أنت رائعة ويريجني ان افضي اليك بما يصطخب في جوانحي ..
انا مغرم بك يا اليانور .. صدقيني ، ولكن الأخرى أشبهه يسحر طغى
علي . قلب كياني .. ونظرتي الى الحياة وتذوقي للأشياء .. وكل ما هو
رتيب معقول .

- ولكن أليس الحب معقولاً ؟

- كلا .. كلا .

- أقلت لها شيئاً ؟

- الواقع اني فقدت عقلي هذا الصباح ولكنها ..

- ماذا ؟

- اسكتتني على الفور . فقد فوجئت .. لأنها تعلم انني وأنت .

فسحبت اليانور خاتماً من الماس من اصبعها وقالت :

- يحسن أن تسترد هذا يا رودي .

فأخذه وهو يغمغم كالمحموم .

- ليست لديك فكرة يا اليانور عن الخزي الذي اشعر به ، ان وحشاً

مفتراً ينهش في مشاعري ..

- وهل تظنها ستزوجك ؟

فهرز رأسه وقال :

- لا أظنها تحفل بي الآن ، ولكنها قد تفعل ذلك يوماً .
- أظنك على حق ، يجب أن تمنحها الوقت الكافي ، ابتعد عنها قليلاً ثم
ابدأ من جديد .

- أنت خير من صادقت يا اليانور !

ثم أمسك فجأة بيدها وراح يقبلها ويقول :

- انك تعرفين تماماً انني أحبك وان ماري أشبه بحلم قد استيقظ منه
ولا أجدها .

- وإذا لم تجدها ؟

- بودي لو يحدث هذا ؟ انني انتمي اليك وأنت تنتمين اليّ ، ونحن الاثنان
خلقنا لنكون معاً .

فقالا تحدث نفسياً :

- نعم ، نعم لولا وجود ماري !

الفصل الخامس

- قالت المريضة هوبكنز في حماسة :
- كانت جنازة رائعة !
- فأجابتها المريضة أوبريان :
- حقيقة ، والزهور ، رأيت أجمل منها ؟
- وكانتا تحتسيان الشاي في مقهى (بلوتيت) فاستطردت هوبكنز قائلة :
- ان مس اليانور فتاة كريمة فقد اعطتني هدية جميلة .
- لا شك في كرمها . ترى لو حررت الراحلة وصيتها هل كانت تترك كل ثروتها لأبنت أخيها ؟
- الذي أعرفه أنها كانت تريد أن تترك مبلغاً من المال لماري جيرارد .
- هذا صحيح . ولعلنا كنا فوجئنا بأنها تركت كل شيء تملكه لماري وحدها !
- لا أظنها كانت تحرم من هي من لحمها ودمها .
- هناك لحم ودم ، ولحم ودم .
- ماذا تعنين يا أوبريان ؟ .
- أنا لست ثرثارة ولا أريد ان الطخ اسم الميتة .

- أنا معك في هذا .

- على فكرة ، هل وجدت انبوبة المورفين عندما عدت الى منزلك ؟
فعبست هوبكنز وقالت :

- كلا .. ويغيبني ألا أعرف أين ذهبت ! وكل ما أعلل به ضياعها هو
انني تركتها على حافة المدفأة كما افعل أحياناً عندما أغلق الدولاب بالمفتاح
وربما تدحرجت وسقطت الى سلة المهملات التي كانت مليئة ثم أفرغت في السلة
العامة في الطريق بمجرد مغادرتي المنزل ، هذا هو التعليل الذي يتقبله عقلي .
- هذا محتمل جداً ولو كنت في مكانك لما اهتممت بالأمر .
- لست مهتمة في الواقع .

* * *

وجلست اليانور في ثوبها الأسود الرشيق أمام منضدة في المكتبة وقد
انتشرت أمامها اوراق مختلفة ، وكانت قد فرغت من مقابلة الخدم ومسز
بيشوب ، وجاء دور ماري جيرارد فدخلت الفتاة مترددة قالت :

- اطلبتي رؤيتي يا مس اليانور ؟ .

فتطلعت اليها لحظة ثم قالت :

- أوه ، نعم ماري ، تعالي اجلسي هنا .

فجلست الفتاة في المقعد الذي اشارت اليه اليانور وكان يواجه النافذة بحيث
يسقط الضوء على وجهها ويكشف عن نقاء بشرتها وصفرة شعرها الجميل .

وقالت اليانور تحدث نفسها :

« أيمكن أن اكره هذه الانسانة كل هذه الكراهية ولا تظهر على
أساريري !؟ » .

ثم قالت بصوت مرتفع رقيق :

- أظنك تعرفين يا ماري ان عمي كانت مغرمة بك مهتمة بمستقبلك .

فغمغمت ماري بصوت خافت

كانت مسز ويلمان شديدة العطف عليّ دائماً .

- ولو اتيح لها أن تترك وصية - كما رغبت - لتركت لك ما يكفل مستقبلك ، ولولا انني أرجأت دعوة المحامي الى صبيحة اليوم التالي لنفذت عملي رغبتها ولذلك أحس اني مسؤولة عن حرمانك من جزء من ثروتها ولو يسير ، مما جعلني استشير مستر سيدون واتفق على عمل ما يريح الراحلة في قبرها ، وقد بدأت بالخدم حسب طول خدمتهم في هذا المنزل ، أما انت فلست بطبيعة الحال من هذه الطبقة .

وتوقفت وهي تأمل أن تشعر الفتاة بوخز هذه الكلمات فلما لم يبد أي تبدل على قسما وجهها بل راحت تصغي لما ستفضي به الوارثة بعد ذلك ، استطرقت اليانور قائلة :

- ويوجد أن تثبت الوراثة قانوناً سأقوم بتوزيع جزء منها على المستحقين بحكم الواجب والاعتراف بالجميل ، وسيكون نصيبك الفتي جنيته تتصرفين فيهما كيف تشائين .

فتضرجت وجنتنا ماري فرحاً وهتفت :

- ألفا جنيته ! هذا كرم منك يا مس اليانور !

- يسرني أن تطمئني على مستقبلك ، واني لأتساءل هل في رأسك

مشروعات خاصة ؟

- نعم .. نعم .. سوف اتدرب على التدليك .. هذا ما تتصحني به

المرضة هوبكنز .

- فكرة طيبة وسأاتفق مع مستر سيدون على أن تتناولي حصتك في أقرب

فرصة ممكنة ، بل في الحال لو أمكن .

- أنت طيبة جداً ، جداً ، يا مس اليانور .

- هذه رغبة العممة لورا ، هذا كل شيء على ما أظن .

وأحست ماري بأن الكلمات الأخيرة تعني طردها .

فنهضت على الفور في هدوء وقالت :

- أشكرك كثيراً جداً يا مس الينانور !

ثم غادرت الغرفة بينما جلست الينانور ذاهلة غائصة في لجة من الأفكار دون أن تتحرك أو تطرف لها عين .

واخيراً بعد دقائق طويلة ، خرجت تبحث عن رودى ، ووجدته في غرفة الجلوس يطل من النافذة ، واستدار عندما شعر بوقع اقدام خلفه فبادرته الينانور قائلة :

- لقد انتهيت من كل شيء : خمسمائة جنيه لمرز بيشوب ومائة للطاهية وخمسون لكل من الخادمتين ميلى وأوليف وخمسة لكل من الآخرين . أما رئيس البستانيين ستيفنس فسيأخذ خمسة وعشرين جنيتها وبقي أكهل جيرارد ساكن الكوخ لا أدري كم أعد له معاشاً طوال حياته الباقية ؟

وصممت لحظة راحت تتفرس فيها وجه الشاب ثم استرسلت تقول :

- وسيكون نصيب ماري جيرارد الفنى جنيه ، اتظن هذا ما كانت ترغب

فيه عمئنا ؟

فأجاب دون ان ينظر اليها :

- حسناً جداً ، انك شديدة الحكيم يا الينانور .

ثم استدار ليطل مرة اخرى من النافذة فأمسكت الفتاة أنفاسها قليلاً ثم

اندفعت تقول في سرعة وانفعال :

- هنالك ما أريد ان احديثك عنه ، سيكون لك نصيبك اللائق

يا رودى .

ولما التفت اليها ووجهه يعصف بالغضب مضت تقول على الفور :

- كلا اصغ اليّ يا رودى ! ان العدالة تقضي بأن يكون لك نصيب في

أهيوال عمك التي تركها لزوجته ، وهذا ما كان في نية العمه وحدثني به مراراً ،

أما الآن وقد آلت إليّ جميع أموالها فلا أطيق الشعور بأني أسلبك ما هو حق لك لا لسبب سوى أن العمة لورا لم تتمكن من كتابة وصيتها .

فامتقع وجهه وقال :

– يا إلهي ! أتعقدين اني أترقب منحتك ؟

– قلت لك اني فقط لا أريد أن أسلبك ما هو من حقك وما كانت عمتي

تريد أن تتركه لك من الأموال التي ورثتها عن زوجها .. عمك .

– أنا آسف يا عزيزتي الحق اني لا أدري ماذا يجب أن أقول وماذا يجب

أن اعمل ؟

– يا لك من مسكين يا رودي !

واقتربت منه تخاطبه في رفق :

– أتعرف ماذا أعدت ماري جيرارد لمستقبلها ؟ سوف تتدرب على

التدليك .

– حسناً .

– اصغ الي جيداً يا رودي ! بودي لو تتبع نصيحتي .

فاستدار يسألها :

– أية نصيحة تعنين !

– خذ إجازة وارحل إلى الخارج لمدة ثلاثة شهور مثلاً ، ارحل بمفردك

واتخذ أصدقاء جدداً وشاهد أماكن جديدة ، دعنا نتكلم بصراحة أكثر :

انك تعتقد في هذه اللحظة انك تحب ماري جيرارد :

وربما كنت كذلك ، ولكن هذه اللحظة غير مناسبة للاقتراب منها وإن

كانت خطبتنا قد فصمت تماماً ، ولهذا يحسن أن ترحل إلى الخارج حراً طليقاً .

لتعود بعد ثلاثة شهور حراً في أن تتخذ القرار الذي يروق لك ، وسوف تعرف

إذ ذاك إذا كنت حقيقة قد أحببت ماري جيرارد أم كانت عاطفتك نحوها

بجرد إعجاب وقتي ولهفة عابرة ، حتى إذا تأكدت أنك تحبها أمكنك أن

تذهب اليها وأن تفضي اليها برغبتك وربما أمكنها في ذلك الوقت أن تصغي اليك وإلى لهفتك عليها .

فتقدم منها رودي وأمسك بيدها في راحته وقال :
- أنت رائعة يا الينور .. ذكية .. مدهشة !. اني لأزداد إعجاباً بمواهبك
وسأعمل ما تشيرين به عليّ .. سأرحل متحرراً من كل قيد ، وسوف أدرك
هل ما بي حمى وافدة وحماسة طارئة اكم انا مغرم بك يا الينور ، شاكر للكرم
الذي تغمرينني به
ثم قبلها دون أن يعي ووثب إلى الخارج .

* * *

وبعد يومين افضت ماري جيرارد للمرضة هوبكنز بما وعدتها به الينور
فهنأتها في حرارة وقالت :
- كثيرات غيرها يتناسين رغبات الموتى ولكنك لحسن الحظ وجدت في
استقامة خلق الينور ما يكفل مستقبلك .
- ومع ذلك أشعر انها لا تحبني .
- لا تتظاهري بالبراءة ان مستر رودريك مفتون بك ومن حق خطيبته
أن تحقد عليك ، أتجبنه يا فتاة ؟
- لا أدري ا ولكنه لطيف

* * *

- لا تتعجلي يا فتاة من كانت في جمالك تستطيع - كما ألحت لي مرة
المرضة أوبريان - أن تعمل في السينما ..
- وأبي ؟ كيف يجب ان اتصرف معه ؟ انه يرى ضرورة اعطائه بعض

المال الذي سأناله من اليانور !

- لا تعلمي شيئاً من هذا القبيل ، إن مستر ويلمان لم ترد أن تعنيه بالذات .. انه أكسل رجل رأيتُه ولولاك لفقده عمله منذ سنوات .
- من عجب ألا تترك وصية من كانت تملك كل هذه الثروة .
- هكذا الناس يا ابنتي .. يرجئون كل شيء فلا تفعلني مثلهم .
- أليس مضحكاً أن تفكر مثلي في كتابة وصيتها وهي لا تملك شيئاً !
- بل ستكون لك ثروة صغيرة ولكن لها قيمتها فلم لا وقد تعديت الحادية والعشرين من عمرك ؟

- لا داعي للعجلة على كل حال .
- هكذا أنت كالأخرين الذين نعيب عليهم إرجاء كل شيء .
- ان تتمتع بالصحة لا يحول دون أن تهشمك سيارة أو عربة في أية لحظة .

فضحكت ماري وقالت

- أنا لا أعرف حتى كيف تكتب الوصية .
- من السهل أن تحصل على استمارة من مكتب البريد .
- وفي كوخ الممرضة هوبكنز نشرت الاستمارة ونوقشت محتويات الوصية وسألته ماري باسمه :

- من الذي يرثني إذا لم أترك وصية ؟
- والدك . إلا إذا ..
- .. لن أدعه يرثني ، أفضل ان أترك ما أملك لخالتي في نيوزيلندا .
- هذا أفضل لأن والدك لن يعيش طويلاً .
- ولكنني لا أذكر عنوان خالتي ولم نسمع أخبارها منذ سنوات .
- لا يهم أتعرفين اسمها ؟
- ماري رالي .

- حسناً جداً .. اكتبي انك تتركين كل شيء لماري رالي أخت المرحومة
اليزا رالي من أهالي هنتربري .
فانحنيت ماري على الاستمارة تكتب ولما انتهت ارتعدت فجأة لأن ظلاً
وقف بينها وبين الشمس ، ولما رفعت رأسها رأت اليانور واقفة خارج النافذة
تتطلع إلى الداخل .. وسرعان ما سألتها هذه :

- ماذا تفعلين باهتمام يا ماري ؟

فقالت هوبكنز باسمه :

- إنها تكتب وصيتها ؟

- تكتب وصيتها ؟

ثم ضحكت ضحكة هسترية وقالت :

- هذا شيء مضحك للغاية !

ثم استدارت وهي لا تزال تضحك ومضت بسرعة في طريقها بينما تمت
هوبكنز قائلة :

- ماذا أصابها ؟

* * *

وفجأة شعرت اليانور بيد تسقط على ذراعها من الخلف فالتفتت على الفور
لترى الدكتور لورد عابس الوجه يسألها :

- علام تضحكين هكذا ؟

فأجابت :

- الواقع .. لا أدري ..

- هذا رد أبله !

فتضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت :

- لا بد اني عصبية أو شيء من هذا القبيل لأنني عندما شاهدت ماري

جيرارد في كوخ الممرضة هوبكنز تكتب وصيتها انفجرت في الضحك لسبب
لا أعرفه .

- سأصف لك مقويًا لأعصابك .. هذا هو العلاج الناجع لمن يكتمون عن
الغير حقيقة حالهم .

- لا شيء هناك على الإطلاق

.. بل هناك أشياء كثيرة تكتمينها ولا تريد أن تبوح بها لأحد هل
ستبقين هنا طويلاً ؟
- سأرحل غداً .

- ولماذا لا تقيمين هنا ؟

- لن أفعل هذا .. بل سأبيع الضيعة والقصر إذا حصلت على ثمن طيب
يجب أن أعود إلى القصر الآن .

ومدت يدها قائلة :

- ماذا تظن في رأسي من الأفكار ؟

- هذا ما أود أن أعرفه .

- كل ما هنالك انني وجدت من المضحك أن تفكر ماري في كتابة
وصيتها . .

- ليس في الأمر موضع للغرابة ، بل كان واجباً أن تقطن مسز ويلمان
الى أهمية ذلك فتكتب هي الأخرى وصيتها .

- نعم هذا صحيح .

- وأنت ؟ هل فكرت في كتابة وصيتك ؟

- أنا ؟ كلاً لم أفكر في هذا قط ولكنني عندما أعود إلى المنزل سأكتب
الى مستر سيدون في هذا الشأن .

- هذا عين الصواب .

* * *

ولما جلست إلى المنضدة في المكتبة مضت تكتب الى المحامي :

« عزيزي مستر سيدون

أرجو أن تكتب لي وصية لأوقعها .. وصية غاية في البساطة لأنني أريد أن أترك كل شيء أملكه لروديك ويلمان .

وفتحت الدرج ثم تذكرت إنها استعملت في هذا الصباح آخر طابع بريد لديها وأن هناك بعض الطوابع في مخدع النوم ، فمضت ترقى الدرج ولما عادت إلى المكتبة والطابع في يدها ، كان رودي واقفاً بجوار النافذة فقال مخاطبها: - إذن سنغادر هنتبري في الغد؟ إن لهذا المكان العزيز ذكريات لن تمحى من مخيلتنا!

- ما رأيك في أنني سأعمل على بيع هذا القصر .

- هذا خير ما تفعلين .

ثم ران عليها صمت راحت اليانور في أثنائه تلتصق الطابع على خطابها الى المحامي .

الفصل السادس

تلقت الممرضة هوبكنز في ١٤ يوليو الخطاب التالي من زميلتها الممرضة

أوبريان

كنت أود منذ بضعة أيام ان أكتب لك عن منزلي الجميل في (البورو)
وان كانت أسباب الراحة فيه لا تعدل ما نعمت به في هنتبري ، ولعل أكثر
ما يضايقني ندرة الخدمات وقلة مهارتهم . أما مريضى فشاب هادى رقيق
الحاشية كان يعاني التهاباً رئوياً ولكن الأزمة قد انقضت لحسن الحظ ، والذي
أود ان اخبرك به ويدل على غرائب المصادفات اني وجدت في غرفة
الاستقبال اطاراً كبيراً من الفضة على البيانو ولعلك لا تصدقيني إذا قلت لك
ان الصورة التي في هذا الاطار هي نفس الصورة التي كانت ممضاة بتوقيع
لويس في قصر ويلمان اي لنفس هذا الرجل ! ولما سألت الساقى عن صاحب
الصورة قال إنها للسير لويس رايكروفت شقيق الليدي راتري وأنه كان
يعيش غير بعيد عن هنا ، ثم قتل في الحرب ، وعلمت انه كان متزوجاً وأن
الليدي رايكروفت أدخلت مستشفى المجاذيب بعد زواجها مباشرة وأنها ما
ما زالت بالمستشفى الى اليوم . ومعنى هذا ان السير لويس ومسر ويلمان
كانا عاشقين وأن الرجل لم يستطع الزواج منها لأن امرأته كانت على قيد

الحياة في المستشفى .. فيالها من مأساة غرامية عجيبة .
أرجو أن تكتبي لي بكل أنباءك .

المخلصة : ايلين أوبريان

وفي اليوم نفسه - ١٤ يوليو - تلقت الممرضة أوبريان الخطاب التالي من زميلتها هوبكنز .

« عزيزتي أوبريان ..

كل شيء هنا يسير عادياً لولا ان هنتربري أصبحت مهجورة وقد غادرها جميع الخدم وكتب عليها الآن إعلان (للبيع) وقد شاهدت مستر بيشوب منذ يومين وهي تقيم مع اختها على مسيرة ميل وتتميز حنقاً لعرض هنتربري للبيع بعد أن كانت تؤكد أن اليانور سوف تتزوج رودي ويقيناً هنا أما الآن فهي تؤكد ان هذا دليل على أن هذا الزواج لن يتم ، وكذلك رحلت من اليانور الى لندن كما رحلت اليها ماري جيرارد لتتدرب فيها على التدليك ومن حسن حظها أن اقتنعت مس اليانور بمنحها الفتي جنينه تشق بهما طريقها في مستقبل أيامها .

أتذكرين الصورة الممضاة باسم (لويس) التي كانت مسز ويلمان قد طلبتها في لفة لتراها قبل موتها ؟ لقد صادف ان كنت اتحدث منذ يومين مع مسز سلاتري حارسة الدكتور رانسام سابقاً ذلك الطبيب الكهل الذي خلفه الدكتور لورد .. فلما سألتها في معرض الحديث . ماذا تعرف عن من يحملون اسم (لويس) ذكرت السير لويس رايكروفت الذي قتل في نهاية الحرب وكان يقيم في (فوريس بارك) ولما ذكرت لها انه كان صديقاً لمسز ويلمان أكدت أنهما كانا أكثر من صديقين ولم تزد على ذلك ولكنني فسرت هذا بأن مسز ويلمان كانت أرملة وربما كانت تني نفسها بالزواج منه . غير أن مسز سلاتري قالت ما كان في وسعها أن تتزوجه لأن له زوجة في مستشفى المجاذيب .

وهل تذكرين الشاب الصبيح الوجه المدعو تيمد بيجلانذ الذي كان يحوم
حول ماري جيرارد؟ لقد طلب اليّ أن أعطيه عنوانها في لندن ولكنني لم
أعطه شيئاً لأنني واثقة أن الفتاة لا تراه الآن من طبقتهما ، ولأنني أعتقد أن
رودي يهيم بها شغفاً منذ وقعت عيناه عليها أخيراً ، ولعل هذا هو سبب
انفصام الخطبة بينه وبين الينانور . ذلك الانفصام الذي يكاد يذهب بعقل
الينانور ، والواقع اني أعجب لتعلقها العجيب بمستر رودريك ولا أجد فيه ما
يبعث على هذا التعلق الشديد !

ويؤسفني أن أخبرك أن الكهل جيرارد تسوء صحته ويزداد توتر أعصابه
حتى لقد صاح منذ أيام أن ماري ليست ابنته ولما عاتبته وطلبت اليه أن
يخجل من كلامه تطلع اليّ ثم قال : « أنت لست حمقاء لا تعلمين شيئاً » ،
ولكنني سلقته بلساني لأن زوجته كانت وصيفة مسز ويلمان قبل زواجهما
وكانت فتاة شريفة طيبة .

المخلصة . جيسي هوبكنز »

وتلقت الينانور من رودريك في اليوم التالي (١٥ يوليو) الخطاب
التالي :

« عزيزتي الينانور

لقد تسلمت خطابك على التو وأظنك قد أحسنت كثيراً بالتفكير في
بيع هنتر بري وان كنت ستلاقين بلا شك بعض الصعوبات في التخلص من
هذا البيت العتيق الذي لا تتوافر فيه أسباب الراحة الحديثة رغم تجديده
عدة مرات .

« الطقس هنا جميل ، وأقضي ساعات في البحر عازفاً عن الاختسلاط
بالناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، كما أفكر في أن أقضي على ساحل
دالماسيا أسبوعاً أو اثنين وسيكون عنواني من ٢٢ الجاري شركة توماس كوك

بدافروبنيك حتى إذا استجد ما أستطيع ان أعمله أمكن أن تتصلي بي على الفور .

المخلص المعجب الشاكر - رودي »

وتلقت في ٢٠ يوليو الخطاب التالي من مستر سيدون :

« عزيزتي مس الينور كارليل

أرجو أن توافقي على ما يعرضه الميجر سمرفيل من شراء هنتبري بمبلغ ١٢٥٠٠ جنيه لأنه عرض سخى في الواقع ، وأرجو ان توافيني بموافقتك بصفة عاجلة لأن الميجر عرضت عليه منازل أخرى في المقاطعة وليس لديه مانع من استئجار المنزل بأثائه لمدة ثلاثة شهور نكون أثناءها قد انهننا الاجراءات الرسمية الخاصة بالبيع .

« اما عن الحارس جيرارد فلا داعي الآن للتفكير في اعداد معاش له لأن الرجل كما سمعت قد اشتد به المرض ويحتمل ان يموت بين يوم وآخر .
« ولما كانت اجراءات الوراثة لم تتم بعد فقد صرفت لمس ماري جيرارد مائة جنيه من حسابها .

« المخلص - ايدموند سيدون »

وفي يوم ٢٤ يوليه تلقت الينور كارليل

لقد توفي الكهل جيرارد اليوم فهل من خدمة أوديها ؟ سمعت انك بعث المنزل للميجر سمرفيل وارجو ان تكون صفقة طيبة .

« المخلص - بيتر لورد »

وفي ٢٠ يوليه كتبت الينور الى ماري جيرارد تقول :

« عزيزتي ماري

يؤسفني ان اسمع بوفساءة والدك ، لقد عرض علي الميجر سمرفيل شراء هنتبري ويتجمل تسلمه ولذلك سأذهب الى هناك لأفحص اوراق عمي واخلي

المنزل مما يحسن التخلص منه فهل لك انْ تعملي من جانبك على إخلاء الكوخ
من متاع والدك ؟

أرجو لك الصحة والتوفيق في التدريب على التدليك ..
« المخلصة - الينانور كارليل »

وفي نفس اليوم كتبت ماري إلى الممرضة هوبكنز تقول :

« عزيزتي مس هوبكنز

أشكر لك خطابك عن والدي ويسرني انه لم يعان كثيراً ..
وقد تلقيت اليوم من مس الينانور انها باعت هنتري وقد طلبت اليّ ان
اخلي الكوخ في اقرب وقت فهل اطمع في ان تستضيفيني غداً إذا حضرت
تشييع الجنازة ؟ لا تهتمي بالرد في حالة الموافقة .

« المخلصة المحبة - ماري جيرارد »

الفصل السابع

عندما بلغت اليانور الطريق الرئيسي في يوم الخميس ٢٧ يولييه ، صاحت فجأة صيحة سرور وعبرت الشارع هاتفة :

- مسز بيشوب !

- مس اليانور ؟ لو كنت أعلم انك في هنتربري لبادرت الى مقابلتك بنفسي ، هل جئت معك بأحد من لندن لخدمتك ؟

فهزت اليانور رأسها وقالت :

- انا لست مقيمة في المنزل ، بل في فندق كنجز آرمنز .

- هل بعته حقيقة .

- نعم . الى الميجر سمر فيل .. النائب الجديد الذي انتخب مكان نائبنا الراحل ، ويسرني أن يشتري المنزل رجل يرغب في أن يشغله بنفسه وكان يؤمني أن ينقلب الى فندق أو يهدم ليشيد في مكانه منزل على الطراز العصري .. واولا انه اكبر من حاجتي لفكرت في أن أقيم به .

ثم نظرت الى المرأة في عطف وقالت :

- إذن أعطني علبة من البسك المحفوظ .

- أيروقك شيء من اثاث المنزل يا مسز بيشوب ؟

- الحق اني معجبة بالمكتب الصغير الذي بغرفة الاستقبال.
- خذيه مع المقاعد التي من طرازه .
- شكراً على كرمك يا مس اليا نور، وهذه المناسبة اخبرك اني اقيم الآن
مع اخي فهل اذهب لأقوم بما تحتاجين اليه من مساعدة
- كلا .. شكراً .

- اظنك تعلمين ان ماري جيرارد هنا وان جنازة والدها كانت بالامس
وهي تقيم مع الممرضة هوبكنز وسمعت انها ذهبتا في الصباح إلى الكوخ .
- أنا التي طلبت اليها إخلاء الكوخ .. سأمضي الآن وسأذكر رغبتك في
المكتب والكراسي .

ومضت الفتاة الى الخباز فاشترت رغيفاً ثم الى بائع اللبن فابتاعت نصف
رطل من الزبد وبعض اللبن ، واخيراً ذهبت الى البقال وطلبت بعض علبة
سمك السلمون وهي تقول :
- ارجو ان يكون السمك طازجاً لان كثيراً من الوفيات تحدث بسبب
التسمم بالسمك . أليس كذلك .

فأجابها الرجل ويدعى « أبوت » :
- أوكد لك أن هذا السمك طازج ومن أحسن الأصناف ولم يشك منه
أحد من قبل .

ومضت من فورها فدخلت هنتربري من البوابة الخلفية وكان الجو صحواً
حاراً ، ومساعد المستناني هوليك يشذب الزهور - وكان هو الخادم
الوحيد الذي أبقت عليه - فلما شاهدها حياها في احترام وقال :
- لقد تلقيت خطابك يا سيدتي وفتحت النوافذ والباب الجانبي . بلغني
أنك بعث المنزل فهل أطمع في توصية منك الى الميجر سمر فيل .
فأجابته باسمه :
- بالطبع يا هرليك .

- شكراً يا -يدتي . كنا نتمنى أن يظل المنزل للعائلة .
ومضت الفتاة وقد شعرت بأنها أشبه بالسد المحطم تجرفه الأمواج والأمواج
وراحت تحدث نفسها قائلة :

« لولا ماري جيرارد لبقيت ورودي في هذا المنزل الذي يذكرني كل ما
فيه بطفولتنا الهانئة ؟ ترى أي سحر في الفتاة سلبه لبه بهذه السرعة العجيبة
ان بالفتاة مزايا ومواهب تستحق الاعجاب ولكنه لا يعرف عنها شيئاً .
اذن فهو الحب الذي يقول عنه الشعراء أنه وليد النظرة الأولى اولو أن ماري
ماقت - مثلاً - لأفاق رودى من نشوته ولنجت روحه من تأثير هذا السحر
الطاغي الذي يملكه آه لو يحدث شيء لهذه الفتاة !

وأدارت مقبض الباب الخارجي فتملكتها رعدة كأنما يقبع شر في ذلك
المنزل ! ومضت عبر الردهة الى الغرفة التي كان يحفظ فيها خزين المنزل
فوضعت حملها من الزبد والحيز وزجاجة اللبن ، ثم فتحت علبة السمك
المحفوظ وراحت تحملق فيها لحظة طويلة . وأخيراً غادرت القبو وارتقت
الدرج الى الغرفة مسز ويلمان حيث راحت تخرج الملابس من الدولاب وتفتح
الادراج وتفرض ما بها

في تلك الاثناء كانت ماري جيرارد في الكوخ تحدث الممرضة هوبكنز ،
قالت :

- أصحيح ما قاله أبي في ثورته من انه ليس والدي ؟

فبدأ الارتباك على وجه الممرضة وقالت :

- اصغى الي يا ماري . ان المرضى وكبار السن كثيراً ما يهرفون في
غضبهم فما بالك بمستر جيرارد الذي كان مهمم الاعصاب ، ولهذا المناسبة ماذا
قررت أن تعلمي بأثاث الكوخ؟

- لا أدري في الواقع ماذا يجب ان عمله ماذا ترين ؟

- أرى ان تحتفظي بالمتين منه فتهيشي به شقة صغيرة في لندن .

- لقد كان المحامي مستر سيدون طبيباً معي فارسل لي مائة جنيهه « على الحساب لأبدأ بهاتدريبي على التديليك لأن بقية النقود لن أتسلمها قبل شهر على الأقل .

ومضت تبحث في أوراق ابمها القديمة ثم هتفت :

- هذه وثيقة زواج ابي وامي في سانت البان سنة ١٩١٩ ولكن يا الله !!

- ماذا يا ماري ؟

- نحن الآن في سنة ١٩٣٩ وسني ٢١ سنة فكيف ولدت إذن بعد سنة

١٩١٩ ؟ هذا معناه ان زواجهما كان بعد ولادتي !

فتجهت اسارير الممرضة وقالت :

- كثيراً ما يحدث أن يتزوج العاشقان بعد أن يولد لهما طفل درءاً

للفضيحة أو تكفيراً عن علاقتهما السابقة .. لا تهتمي كثيراً بذلك

- كلا . لقد كان أبي على حق عندما قال انني لست ابنته بل ان هذا يفسر

كراهيته لي .

- الواقع انك لست ابنته يا ماري .

- وكيف عرفت ؟

- لقد تحدث أبوك عن هذا كثيراً قبل موته رغم محاولتي نهره واسكاته

وحمله على الصمت والشعور بالخجل . ولولا الحاحه ، ولولا أنك ستعرفين

الحقيقة عاجلاً أو آجلاً ما اضطررت الى الافضاء اليك بهذا الواقع المر .

- ومن هو والدي الحقيقي ؟

فترددت الممرضة قليلاً ولكنها ما أن فتحت فمها حتى اقفلتها في الحال

اشفاقاً على الفتاة أو لأنها شاهدت ظلاً يسقط عبر الحجره ثم شاهدت اليانور

واقفة في النافذة . وحدثتها هذه قائلة :

- طاب صباحك . لقد كنت أعد بعض الشطائر « السندويتش » فهل

لكما في مشاركتي اياها وقد بلغت الساعة الواحدة وآن وقت تناول الغداء .

ان لدي ما يكفي ثلاثتنا .

ومضين ثلاثتهم الى الردهة الباردة ، وشعرت ماري باوصالها ترتجف
فسألتها اليانور :

– ماذا بك ؟

فأجابتها : لا شيء . مجرد رجفة ، انني آتية من . . مكان الشمس .

– هذا عجيب ! لقد شعرت بمثل ذلك هذا الصباح !

فضحكت هوبكنز وقالت :

– بقي أن تجزما بوجود أشباح وأرواح .

وتقدمتها الى غرفة الجلوس الى يمين الباب الخارجي حيث كانت الستائر
مرفوعة فزايلت الفتاتين كآبتهما وعاودها المرح ، ومضت اليانور عبر الردهة
ثم عادت تحمل صحيفة كبيرة عليها الشطائر وقدمتها أولاً الى ماري التي
تناولت احداها ، ووقفت اليانور ترمقها لحظة وهي تلتهم « السندويتش » في
فمها الصغير باسنانها الناصعة . ثم سرح خاطرها وأخيراً انتبهت الى شفقي
هوبكنز تنفرجان عن جوع ، فأسرعت تقدم إليها الطعام !

ثم تناولت بدورها احدي الشطائر ، وقالت معتذرة :

- نسيت أن أحضر اللبن لعمل القهوة ، ولكن توجد بعض زجاجات من

الجمعة لمن تريد منكما .

فقال هوبكنز :

– لو أنني تذكرت لجئت ببعض الشاي .

- يوجد شاي في غرفة كبير الخدم .

فأسرعت هوبكنز تحضر بعضه وقد أشرقت أساريرها وبقيت اليانور
وماري وحدهما معاً ، فسرى في الجو شعور عجيب من التوتر حاولت اليانور
أن تخفيه وقالت :

– هل أحببت عملك في لندن ؟

- نعم .. أشكرك ولن أنسى لك هذا الفضل ، ولكن ماذا حدث ؟
 - ماذا ؟
 - انك تحملقين في وجهي بشدة .
 فضحكت اليا نور وقالت :
 - أحقاً ؟ . هذه عادتي عندما أكون غائصة في التفكير . أنا آسفة .
 وأطلت هوبكنز قائلة :
 - سأضع آنية الشاي على النار .
 وانفجرت اليا نور مرة أخرى في نوبة فجائية من الضحك وقالت تحدثت
 ماري :
 - أتذكرين أيام كنا طفلتين .. أتجبن العودة إلى هذا العهد ؟
 - نعم نعم .. ولكن يجب ألا تعتقدي يا مس اليا نور ..
 ولكنها توقفت عن الكلام عندما شاهدت جسم اليا نور يتصلب فجأة ثم
 سمعتها تقول في صوت ثاقب :
 - ماذا يجب ألا أعتقده ؟ .
 - نسيت ما كنت .. أريد أن أقوله ..
 وقدمت هوبكنز تحمل صحيفة عليها ثلاثة أقداح من الشاي واللبن فزال توتر
 اليا نور وقالت :
 - شكراً .. تناولا أدما الشاي فليست بي رغبة في شرب شيء ..
 ثم دفعت الصحيفة أمام ماري .. وبعد أن فرغت هوبكنز من احتساء
 قدحها قالت :
 - سأذهب الآن لأطفئ الموقد فقد تركته موقداً تحسباً لطلبه المزيد من
 الشاي .
 وتقدمت اليا نور من النافذة فالتقطت صحيفة الشاي ووضعت عليها طبق
 « السندوتش » الفارغ ، وحينئذ وثبتت ماري قائلة :

- أوه يا مس اليانور .. هاتي عنك !

فقلت لها اليانور في حدة :

- كلا .. أبقى أنت في مكانك واتركي لي هذا .

ثم حملت الصحيفة إلى خارج الردهة وتطلعت إلى الخلف من فوق كتفها إلى ماري التي وقفت بجانب النافذة وقد اكتمل جمالها وشبابها . وكانت هوبكنز في القبو تمسح وجهها بمنديلها فلما شامت اليانور مقبلة عليها قالت :

- ما أشد الحر هنا !

ثم تقدمت تأخذ الصحيفة منها قائلة :

- دعيني أغسلها يا مس كارليسل ..

وراحت ترفع كميها ونظرت اليانور إلى رسغها وقالت :

- هل جرحت نفسك ؟ .

فأجابت ضاحكة :

- دخلت شوكة من شجر الورد في رسغي وسوف انتزعها :

- أين ؟ .

- عند سور الورد حول الكوخ ..

ورفعت اليانور علبة السمك المحفوظ الفارغة عن المنضدة ثم وضعتها في الحوض بين الأقداح والصحاف . ولما انتهت هوبكنز من مهمتها عادت كلتاهما ترقيان الدرج إلى غرفة مسز ويلمان ، وهناك ساعدت « الممرضة » اليانور في فرز الملابس التي يحسن منحها لبعض الفقيرات من الجارات .

وفجأة .. تساءلت الممرضة :

- هل ذهبت ماري إلى الكوخ ؟

فأجابتها اليانور :

- لقد تركتها في غرفة الاستقبال .

- لا يمكن أن تبقى هناك طوال هذا الوقت .

ثم تطلعت إلى ساعتها وقالت :
 . لا يمكن لأننا مكثنا هنا حوالي ساعة كاملة .
 وأسرعت تهبط الدرج فتبعتها البيانور وما لبثت هوبكنز أن صاحت :
 - ما كنت أتصور هذا . لقد غلب عليها النوم .
 وكانت ماري جالسة في مقعد كبير بجوار النافذة وقد سقط رأسها على
 صدرها فهزتها الممرضة لتوقظها قائلة :
 - استيقظي يا عزيزتي .

ثم سكنت فجأة وانحنى على الفتاة وراحت تهزها من جديد .. وأخيراً
التفتت إلى البيانور وقالت وفي صوتها نبرة تهديد :

- ما معنى هذا ؟!
- لا أعلم ماذا تعنين ؟ أهى مريضة ؟
- أين التليفون ؟ اتصلي بالدكتور لورد بأسرع ما تستطيعين .
- ماذا جرى !
- الفتاة تموت .
- تموت ؟
- لقد سممت ..
- وحدجت البيانور بنظرة ثابتة .. مليئة بالشك والوعيد .

الفصل الثامن

راح هر كيول بوارو يرقب الشاب الذي مضى يذرع الغرفة جيئة وذهاباً
في عصبية ثم قال :

— حسناً يا صديقي .. ما الخطب ؟

ووقف بيتر لوره في مكانه و كأنه قد شل ثم قال :

— مسيو بوارو .. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه مساعدتي ..
لقد سمعت ستيلاينج فليت يتحدث عنك وقد ذكر لي ما صنعته في قضية بندكت
فارلي وكيف أن كل أمرىء ظن أن الأمر انتصار حتى جئت أنت فسأثبت
انها جريمة قتل .

فقال بوارو :

— هل عندك قضية انتحار بين مرضاك لا تشعر بارتياح اليها ؟

فهز بيتر لورد رأسه ثم جلس مواجهاً بوارو وقال :

— هناك سيدة صغيرة .. قبض عليها وستحاكم بجريمة قتل وأنا أريد منك
أن تجد ما يثبت إنها لم ترتكب تلك الجريمة .

وارتفع حاجبا بوارو قليلاً ثم قال في صوت خافت :

— هل أنت وتلك السيدة الصغيرة خطيبان ؟

- نعم .
- هل يجب كل منكما الآخر ؟
- وضحك بيتر لورد وقال :
- لا ليس الأمر كذلك .. ان ذوقها سيء لأنها تفضل حماراً ذا انف كبير ووجه كوجه حصان مجنون . غباء منها .. ولكن هكذا الحال .
- فقال بوارو :
- حسناً .
- وقال لورد بمرارة :
- أنت تقول حسناً .. لا داعي لأن تكون دبلوماسياً في هذا الموضوع . لقد وقعت في حبها منذ اللحظة الأولى .. ولذلك لا أريد أن تشنق .
- فسأله بوارو :
- ما هي التهمة الموجهة اليها ؟
- إنها متهمه بأنها قتلت فتاه تدعى ماري جيرارد بتسميمها بهيدرو كلوريد المورفين .. ومن المحتمل انك قرأت نتيجة التحقيق في الصحف .
- فسأله بوارو :
- وما الدافع إلى الجريمة ؟
- الغيرة .
- وفي رأيك أنها لم ترتكب تلك الجريمة ؟
- بالطبع لا .
- ونظر اليه بوارو مفكراً برهة ثم قال :
- ما هو بالضبط الذي تريد مني عمله ؟ أتجرى الموضوع ؟
- أريد منك أن تنقذها .
- لست محامي دفاع يا عزيزي .
- سأجعل الموضوع أكثر وضوحاً لك .. أريد منك أن تجد دليلاً يساعد

محاميتها على انقاذها .

فقال بوارو :

— أنت تقول ذلك بطريقة غريبة بعض الشيء .

فقال بيتر لورد :

— ما أريده ببساطة هو الافراج عن تلك الفتاة وأظن انك الرجل الوحيد

الذي يمكنه ذلك .

— تريد مني أن اتحرى الحقائق ؟ أي أن اجد الحقيقة ؟ . واكتشف ما

حدث فعلاً ؟ .

— أريد ان تجد أي نوع من الحقائق يمكن أن يكون في مصلحتها .

وأشعل بوارو سيجارة رقيقة في عناية ودقة ثم قال :

— ولكن الحقيقة سلاح ذو حدين . . لنفرض اني وجدت حقائق ضد

السيدة ؟ أتطلب مني الا أعلنها ؟

ووقف بيتر لورد وهو شاحب الوجه وقال :

— هذا مستحيل . انك لن تجد ضدها أكثر من الحقائق الموجودة الآن . .

ان الأدلة التي ضدها مدمرة تماماً . . ولن تستطيع العثور على شيء يدينها أكثر

بما هي عليه الآن . . اني اسألك أن تستخدم كل عبقريتك حتى تجد ثغرة . .

أية ثغرة .

فقال بوارو :

— من المؤكد أن المحامين عنها سيفعلون ذلك ؟ .

وضحك الشاب ضحكة استهزاء وقال :

— أترام سيفعلون ذلك ؟ . لقد يتسوا قبل أن يبدأوا فهم يظنون ان

القضية لا أمل فيها . . وقد استشاروا بولمر . . وذلك اعتراف ضمني منهم

بفشلهم . . فليس بولمر إلا خطيباً فذا بارعاً في التوسل والتبكي . . وسيعتمد على

صغر من المتهمة لإثارة شفقة المحلفين . . ولكن القاضي لن يدعه يستغل ذلك . .

فقال بوارو :

– ولنفرض انها مذنبه .. هل تريد رغم ذلك أن يفرج عنها ؟ .

فقال بيتر لورد في هدوء

– نعم ..

وتحرك بوارو في مقعده وقال .

– انك تشير اهتمامي .

وبعد دقيقة أو دقيقتين قال :

– أظن انه من الأفضل ان تذكر لي الوقائع بدقة .

– ألم تقرأ عنها شيئاً في الصحف ؟ .

فلوح بوارو بيديه وقال :

– قرأت شيئاً عنها . ولكن الصحف لا تتحرى الدقة وانا لا آخذ أب

بما تقول .

فقال بيتر لورد

– ان الأمر بسيط جداً . هذه الفتاة اليانور كارليسيل .. كانت قد ورثت منزلاً قريباً من هنا يدعى هنتبري هول .. ومعه ثروة لا بأس بها ورثتها عن عمته التي ماتت دون ان تترك وصية .. وكان للعممة قريب من لاحية زوجها اسمه رودريك ويلمان .. وكان خاطباً لاليانور كارليسيل منذ زمن طويل ، اذ كان كل منهما يعرف الآخر منذ الطفولة .. وكانت هناك فتاة أخرى في هنتبري .. اسمها ماري جيرارد . ابنة حارس المنزل ، وكانت المعجوز مسر ويلمان تهتم بها اهتماماً كبيراً .. فدفعت نقوداً لتعليمها النخ .. ونشأت الفتاة سيدة محترمة . ويبدو أن رودريك ويلمان أحبها ولذلك فسخ خطبته . والآن ننتقل الى ما حدث .. عرضت اليانور كارليسيل المنزل للبيع واشتراه رجل يدعى سرفيل وحضرت اليانور لتأخذ أمتعة عمته الخاصة . وكانت ماري جيرارد التي توفي والدها حديثاً قد حضرت لاختلاء الكوخ الملحق الذي

كان يقطن به أبوها هذا يصل بنا إلى يوم ٢٧ من يوليو في الصباح .

كانت اليانور كارليس تقيم في الفندق وفي الطريق قابلت مسدبرة المنزل السابقة مسز بيشوب واقترحت مسز بيشوب ان تذهب معها الى المنزل لمساعدتها ورفضت اليانور باصرار .. ثم ذهبت الى « البقال » واشترت علبة سمك وهناك ابدت ملاحظة عن التسمم من المأكولات .. شيء في منتهى البراءة .. ولكنهم بالطبع اتخذوه دليلاً ضدها .. ثم ذهبت الى المنزل . وحوالي الساعة الواحدة ذهبت الى الكوخ حيث كانت ماري مشغولة مع ممرضة الحلي وهي امرأة فضولية تدعى هوبكنز كانت تساعدها وذكرت لهما ان عندها شطائر في المنزل ، فذهبتا معها الى هناك واكلتا الشطائر وبعد حوالي ساعة استدعيت فوجدت ماري جيرارد غائبة عن وعيها .. وبذلت قصارى جهدي ولكن بلا فائدة .. وأوضح التشريح ان هناك كمية من المورفين تناولتها ماري قبل ذلك بفترة قصيرة ثم وجد « البوليس » بطاقة من التي تلتصق على زجاجات الأدوية في المكان الذي كانت اليانور كارليس تعد فيه الشطائر وقد كتب عليها (هيدروكلو المورفين)

- وهل أكلت ماري جيرارد أو شربت شيئاً آخر ؟

- لقد صنعت الممرضة الشاي وكانت ماري هي التي صبته في الأقداح ولا يمكن ان يكون فيه شيء بطبيعة الحال ، أنا اتوقع ان الدفاع سيستغل استغلال موضوع الشطائر ويقول ان الثلاثة قد أكلن منها وعلى ذلك فمن المستحيل ان نضمن ان شخصاً واحداً معيناً يمكن تسميمه عن طريقها وقد قيل ذلك كما تذكر في قضية مشابهة هي قضية هيرن .

فأوما بوارو برأسه وقال :

- ولكن الواقع ان الموضوع بسيط جداً .. إذ يمكنك عمل مجموعة من الشطائر وفي واحدة منها فقط تضع السم ثم تقدم الطبق .. وفي عالمنا المتمان نعرف ان الشخص الذي تقدم اليه الشطائر سيأخذ اقرب شطيرة اليه . واظن

أن اليانور كارليسيل قدمت طبق الشطائر أولاً إلى ماري جيرارد ؟
.. تماماً ..

- رغم ان الممرضة الأكبر سناً كانت في الغرفة ؟
- نعم .

- هذا شيء لا يبدو حسناً .
- إن هذا لا يعني شيئاً حقاً .. فأنت لا تراعي الواجبات في نزهة مثلاً .
- الذي أعد الشطائر ؟
- اليانور كارليسيل .

- هل كان هناك فرد آخر في المنزل ؟
- لا أحد

فهز بوارو رأسه وقال :

- هذا سيء .. وتقول إن الفتاة لم تتناول شيئاً سوى الشاي والشطائر .
- لا شيء .. ومحتويات المعدة تؤكد ذلك .
فقال بوارو :

- هناك نقطة أخرى فاذا كان تسميم الغذاء هو المقصود .. فلماذا لم يتم
اختيار سم آخر .. فعوارض التسمم بالمورفين لا تشبه حتى في القليل أعراض
التسمم الغذائي . وكان الأتروبين يعد اختياراً أفضل .

فقال بيتر لورد ببطء :

- نعم .. هذا صحيح .. ولكن هناك شيء آخر فهذه الممرضة اللعينة
تقسم انها فقدت أنبوبة من المورفين في الليلة التي ماتت فيها مسز ويلمان ..
وتقول الممرضة إنها تركت حقيبتها في « الصالة » وفي الصباح اكتشفت عدم
وجود أنبوبة من المورفين كانت فيها .. كل هذا كلام « فارغ » .. أنا متيقن
من ذلك .. ربما تكون قد كسرتها في المنزل قبل ذلك ونسيت .
- تقول إنها تذكرت تلك الأنبوبة فقط عند موت ماري جيرارد .

فقال بيتر لورد :

- الحقيقة .. إنها ذكرت ذلك في وقته . للممرضة التي كانت عليها
الخدمة وقتئذ .

وراح بوارو ينظر إلى بيتر لورد ببعض الاهتمام .

ثم قال في رقة :

- أظن يا عزيزي ان هناك شيئاً آخر .. لم تذكره لي بعد ..

فقال بيتر لورد :

- أوه . حسناً . أظن أنه من الأفضل أن أذكر لك كل شيء لقد

تقدموا بطلب للتشريح جثة مسز ويلمان .

- حسناً ..

- فاذا فعلوا ذلك . فمن المحتمل إنهم سيجدون ما يبحثون عنه .

- المورفين ؟ . وهل كنت تعرف ذلك ؟

فقال بيتر لورد وقد ابيض وجهه :

- لقد شككت في الأمر .

وهضى بوارو يدق بقبضته على ذراع المقعد ثم هتف :

- يا إلهي .. أنا لا أفهم هذا .. هل كنت تعلم عندما ماتت . إنها

ماتت مقتولة ؟ .

فصاح بيتر لورد :

- يا لله . كلا ، لم أتصور شيئاً كهذا قط .. لقد ظننت انها تناولت

بنفسها .

واستند بوارو على مقعده وقال :

- آه هل خطر لك ذلك ؟

- طبعاً إنها تحدثت معي في هذا الشأن .. وقد سألتني أكثر من مرة إذا

كنت لا أنهي كل شيء بالنسبة لها فقد كانت تكره المرض .. وعدم إمكانها

القيام بعمل شيء .. كانت ترى ذلك مهيناً للكرامة . أن ترقد ويعنى بها كطفلة .. وكانت سيدة قوية العزيمة .

وسكت برهة ثم قال :

- لقد دهشت لموتها فلم أكن أتوقعه ولذا أخرجت الممرضة من الغرفة وبدأت اكشف عليها بدقة على قدر إمكانياتي وبالطبع كان من المستحيل التيقن بدون إجراء تشريح . ولكن أية فائدة كانت ترجى من ذلك ؟ فإذا كانت قد اختارت أن تنهي حياتها فلماذا نعلمن ذلك على الملأ ونسبب فضيحة .. من الأفضل التوقيع على شهادة الوفاة لتدفن في هدوء .. ومع كل .. فأنا لم أكن متيقناً ربما أكون قد قررت الشيء الخطأ .. ولكنني لم أتصور لحظة واحدة ان في الأمر جريمة . كنت متيقناً إنها فعلت ذلك هي نفسها .

فسأله بوارو :

- كيف تظن انها حصلت على المورفين ؟

- ليس عندي أدنى فكرة ولكنني أقول لك . إنها كانت امرأة ذكية

لا تعدم الحيلة وقوة العزيمة .

- أتظن أنها أخذته من الممرضات ؟

فهر بيدر لورد رأسه :

- لا يمكن . أنت لا تعرف الممرضات .

- من أحد أفراد أسرتها إذن ؟

- ممكن .. ربما تكون قد أثرت على مشاعرهم .

فقال بوارو :

- ذكرت لي أن مسز ويلمان ماتت دون أن تترك وصية . فلو أنها عاشت

هل كانت ستكتب وصية ؟

فابتسم بيدر لورد وأجاب :

- أنت تضع اصبعك في مهارة شيطانية على جميع النقاط الهامة .. نعم
كانت ستكتب وصية .. وكانت مضطربة جداً لهذا السبب . كانت لا تعرف
التكلم بصوت مفهوم ولكنها جعلت رغبتها مفهومة لنا وكان على اليانور
كارلسيل أن تتحدث إلى المحامي بالتليفون في صباح اليوم التالي .

- إذن كانت اليانور كارلسيل تعرف إن عمته تريد كتابة وصية ؟ . وأنه
إذا ماتت عمته بدون كتابة وصية .. فإنها توث كل شيء ؟ .

فقال بيتر لورد بسرعة :

- لم تكن تعرف ذلك .. لم تكن لديها أية فكرة في أن عمته لم تكتب
وصية فقط .

- هذا يا صديقي ما تقوله هي .. ربما كانت تعرف ذلك .

- اسمع يا مسيو بوارو .. هل أنت محامي الإدعاء ؟ .

- في هذه اللحظة . نعم .. لا بد أن أعرف مقدار قوة الاتهام ضدها ..

هل كانت اليانور كارلسيل تستطيع أن تأخذ أنبوبة المورفين من الحقيبة ؟ .

- نعم . وكان يستطيع ذلك أي شخص آخر .. رودريك ويلمان ..

الممرضة أوبريان . أي فرد من الخدم ..

- أو الدكتور لورد ؟ .

وزاد اتساع عيني الدكتور لورد وقال :

- طبعاً .. ولكن ماذا أفيد من ذلك ؟

- بدافع الرحمة .

فهز بيتر لورد رأسه وقال :

- لا .. وعليك أن تصدقني .

وأسند بوارو ظهره إلى المقعد ثم قال :

- دعنا نفرض شيئاً . لنقل ان اليانور كارلسيل أخذت فعلاً أنبوبة

المورفين من الحقيبة وقدمته فعلاً لعمتها . فهل قيل شيء عن فقد المورفين ؟

- لم يذكر شيء للخدم فقد احتفظت المرضتان بالسر بينهما . .

فقال بوارد :

- ما رأيك فيما سيقوله الإدعاء ؟ .

- أتعني إذا وجد في جسد مسز ويلمان مورفين ؟ .

- نعم .

فقال بيتر لورد :

- من الممكن انه اذا أفرج عن اليانور في التهمة الحالية فانها قد يعاد

القبض عليها وتسنده اليها تهمة قتل عمته .

فقال بوارد :

- إن الدوافع تختلف . . اعني انه في حالة مسز ويلمان نجد ان الدافع قد

يكون المغنم على حين نجد في حالة ماري جيرارد ان الدافع مفروض أن

يكون الغيرة .

- هذا حقيقي .

فقال بوارد :

- ما هو الأساس الذي سيتبناه الدفاع ؟ .

فقال بيتر لورد :

- يقترح بولمر أن يبني دفاعه على أساس عدم وجود اي دافع وسيقدم

نظرية تقول ان الخطوبة بين اليانور ورودريك كانت إجراء عائلياً أملياً

اسباب عائلية لإرضاء مسز ويلمان وانه في اللحظة التي توفيت فيها السيدة

المجوز قامت اليانور نفسها بفسخها وسيقدم رودريك ما يثبت ذلك وأظن

انه يكاد يؤمن بهذه الحقيقة .

- يؤمن بأن اليانور لم تكن تعنى به إلى حد كبير ؟ .

- نعم .

- في هذه الحالة لن يكون لديها سبب يدعوها لقتل ماري جيرارد .

- تماماً .

- وإذا صح ذلك فمن الذي قتل ماري جيرارد ؟

فقال بيتر لورد في حنق :

- هذا هو الموضوع .. اذا لم تكن قد قتلتها فمن الذي فعل ذلك ؟ ..

عندنا الشاي .. ولكن كل من الممرضة هوبكنز وماري شربتتا منه .

سيحاول الدفاع أن يوحي بأن ماري جيرارد تناولت هي نفسها المورفين بعد

أن خرجت الاثنتان الأخريان من الغرفة . وانها في الواقع قد انتحرت ..

- هل هناك أي سبب يدعوها للانتحار ؟ .

- لا شيء ، على الاطلاق .

- هل هي من النوع الذي يقدم على الانتحار ؟ .

- لا .

فقال بوارد :

- صف لي ماري جيرارد ..

ففكر بيتر لورد ثم قال :

- حسناً .. كانت فتاة ظريفة .. نعم .. بالتأكيد .. كانت فتاة ظريفة .

وتنهى بوارد ثم تتمم :

- وهذا الشخص رودريك ويلمان .. هل وقع في غرام ماري جيرارد لأنها

فتاة ظريفة ؟ .

وابتسم بيتر لورد وقال :

- أوه .. لقد عرفت ما ترمي اليه .. لقد كانت جميلة .

- وأنت نفسك .. ألا تشعر نحوها بشيء ؟ .

- يا لله .. نعم .

وتعنى بوارد في ذلك الرد فترة ثم قال :

- يقول رودريك ويلمان أن صلة عاطفية كانت بينه وبين اليانور كارلسيل ..

ولكن لا شيء أكثر من ذلك . فهل توافق على هذا الزعم ؟

- كيف لي ان اعلم ؟

فهز بوارو رأسه وقال :

- لقد ذكرت لي عندما دخلت هذه الغرفة ان اليانور كارلسيل ذات ذوق سيء حتى انها احبت حماراً ذا أنف كبير .. هذا على ما أظن كان وصفك لروديك ويلمان .. ومعنى هذا أنها تهتم به جداً ..

فقال بيتر لورد :

- أنها تهتم به جداً ..

فقال بوارو :

- إذن كان هناك دافع .

فاستدار بيتر لورد وقد ملأ الغضب وجهه وقال :

- وماذا في ذلك ؟ ربما تكون قد ارتكبت الجريمة .. نعم .. أنا لا أبالي

إذا كانت قد فعلت ذلك .

فقال بوارو :

- آه .

- ولكنني لا أود أن أراها تشنق .. دعني أقل لك هذا .. هب انها فعلت

ذلك في حالة يأس ؟ فالحب يولد اليأس أحياناً .. لنفرض أنها فعلت ذلك

أليست لديك أية رحمة ؟

فقال بوارو :

- أنا لا أوافق على القتل .

فقد سممت ماري جيرارد بالمورفين ولا بد أنها تناولته في « السندويتش » ولم يلمس أحد تلك الشطائر غير اليانور كارلسيل وكان لدى الأخيرة الدافع لقتل ماري جيرارد وهي في رأيك قادرة على قتل ماري جيرارد ومن المحتمل جداً أن تكون قد قتلت ماري جيرارد ولا أرى أي سبب يدفعني الى أن

أصدق غير ذلك .

هذا وجه واحد من وجوه المسألة والآن ننتقل الى الوجه الآخر ونبحث الموضوع من الراوية المضادة . اذا لم تكن اليانور كارلسيل قد قتلت ماري جيرارد . فمن الذي فعل ذلك ؟ هل ماري جيرارد انتحرت ؟ .

واستقام بيتر لورد في جلسته وبان التقطيب في جبهته وقال :

- لم تكن دقيقاً جداً الآن .

- أنا ؟ .. غير دقيق ؟ .

- قلت أنه ليس هناك شخص آخر لمس تلك الشطائر غير اليانور كارلسيل

.. انت لا تعرف ذلك ..

- لم يكن هناك أحد في المنزل غيرها .

- هذا على حسب ما نعلم ولكنك تستبعد فترة قصيرة من الزمن ..

هي الفترة التي غادرت فيها اليانور كارلسيل المنزل وذهبت الى الكوخ . وفي خلال تلك الفترة من الزمن كانت الشطائر على طبق في المطبخ وكان في امكان شخص ما أن يفعل بها ما يشاء .

وجذب بوارو نفساً عميقاً وقال :

- أنت مصيب يا صديقي .. وأنا أعترف بذلك . كانت هناك فترة من

الزمن يستطيع خلالها أي فرد أن يجد سبيله إلى طبق « السندويتش » وعلينا أن نكون فكرة عن قد يكون هذا الشخص .

وصمت . ثم قال .

- دعنا نفحص ماري جيرارد هذه شخص ما ، غير اليانور كارلسيل

.. يرغب في موتها . لماذا ؟ هل يفيد شخص ما من موتها ؟ . هل لديها مسال تتركه بعدها ؟ .

فهز بيتر رأسه وقال :

- ليس الآن .. بعد شهر آخر كانت ستتسلم الفين من الجنيهات ، وكانت

اليانور كارليسيل قد قررت لها هذا المبلغ لأنها اعتقدت ان عمته كانت ترغب في ذلك .. ولكن لم يتم تصفية شركة السيدة المجوز بعد .
فقال بوارو :

- إذن يمكننا استبعاد المادة .. أنت تقول إن ماري جيرارد كانت جميلة والجمال دائماً له مضاعفات .. هل كان لها معجبون ؟
- من المحتمل . ولكنني لا أعرف الشيء الكثير عن ذلك .
- من إذن يعرف ؟
فابتسم بيتر لورد وقال .

- لا بد أن اقدمك إذن الى الممرضة هوبكنز فهي تعرف كل شيء يحدث في ميدنز فورد .

- كنت سأسألك عن انطباعاتك بالنسبة للممرضتين .
- حسناً .. الممرضة اوبريان ايرلندية .. ممرضة جيدة .. ساذجة قليلاً ..
يمكن أن تكون ذات لسان مقذع .. كاذبة قليلاً من النوع الذي يهيم في دنيا الخيال .

فأوما بوارو برأسه .

- أما الممرضة هوبكنز فهي عاقلة . ذكية .. متوسطة العمر طيبة جداً .. ولكنها تهتم أكثر من اللازم بشؤون غيرها .
- إذا كان هناك بعض المشاكل بسبب شاب في القرية هل كانت الممرضة هوبكنز تعرف ذلك ؟

- لك أن تراهن على ذلك ..

ثم أضاف في ببطء :

- وعلى كل حال فأنا لا أرى شيئاً واضحاً في هذا النوع من التفكير ..
فماري لم تمكث في القرية طويلاً إذ كانت في المانيا طوال العامين الماضيين .
- كان عمرها واحداً وعشرين عاماً ؟

- نعم .
- ربما تكون هناك بعض التعقيدات الالمانية .
فانبسط وجه بيتر لورد وقال في لهفة :
... أتعني أنه ربما يكون هناك شخص ألماني كان ناقماً عليها ؟ . ربما
يكون قد تبعها إلى هنا ، وانتظر حتى جاء الوقت المناسب .. وأخيراً
حقق هدفه ؟ .

فقال بواردو في شك :
- هذا مبالغ فيه قليلاً .
- ولكنه ممكن ؟ .
- أنه ليس محتملاً .
فقال بيتر لورد :
- أنا لا أوافقك .. ربما يكون هناك شخص قد أحب الفتاة وغضب
بشدة عندما أعرضت عنه وربما يكون قد تصور إنها قد عاملته معاملة سيئة ..
إنها مجرد فكرة ..

- إنها فكرة .. نعم ..
قالها بصوت لا يشجع ..
فقال بيتر لورد بصوت فيه نبرة توسل .
- استمر يا مسيو بواردو .

فقال بواردو :
- أرى أنك تريد مني أن أكون مثل الحاوي أخرج لك من القبعة الحاوية
أرنباً بعد ارنب .

- يمكنك أن تقول ذلك إذا أحببت ..

فقال بواردو :
- هناك احتمال آخر .

- استمر ..

- لقد أخذ شخص ما أنبوبة مورفين من حقيبة الممرضة هوبكنز في تلك الليلة من شهر يونيو . فلنفرض ان ماري جيرارد رأت الشخص الذي فعل ذلك ؟

- كانت تعلن ذلك .

- كلا .. كلا .. يا عزيزي ، كن معقولاً ، إذا كانت اليانور كارليسل أو رودريك ويلمان ، أو الممرضة اوبريان أو اي واحد من الخدم قد فتح الحقيبة واخذ منها أنبوبة صغيرة فما الذي يدور بخلد ماري جيرارد التي رأت ذلك ؟

ببساطة سيدور بخلدها أن الشخص المذكور قد أرسلته الممرضة ليحضر شيئاً من الحقيبة .. وسيزول الموضوع من ذهن ماري جيرارد .. ولكن من المحتمل . انه بعد ذلك .. ربما تتذكر تلك الواقعة وربما تذكرها بطريقة عرضية الى الشخص موضوع حديثنا .. بدون أن يكون لديها أي شك فيه . فاذا كان هذا الشخص هو المذنب في جريمة قتل مسز ويلمان فلك ان تتخيل نتيجة ذلك التصريح .. لقد رآته ماري .. وعلى ذلك يا صديقي ان أي شخص يرتكب جريمة قتل مرة يجد من السهل ارتكاب جريمة أخرى

فقال بيتر وهو مقطب الجبين :

- لقد كنت على يقين طوال الوقت ان مسز ويلمان نفسها اخذت المورفين وانتحرت به

- واكنها كانت مشغولة .. عاجزة .. وكانت قد أصيبت نواً بنوبة ثانية .

- أنا أعرف .. وكانت فكرتي انها حصلت على المورفين بأية طريقة .. وانها حفظته في مكان أمين يجوارها .

- ولكنها في هذه الحالة تكون قد حصلت على المورفين قبل إصابتها بالنبوة الثانية ولكن المرضة افتقدته بعد ذلك .
- ربما تكون المرضة هوبكنز قد اكتشفت فقد المورفين في ذلك الصباح فقط ، في حين يكون قد أخذ قبل ذلك بيومين . قبل أن تلاحظ ذلك .

- ولكن كيف يمكن أن تأخذه المعجوز ؟

- أنا لا أعرف .. ربما تكون قد رشت الخادمة .. فاذا كان الأمر كذلك فان تلك الخادمة لم تتكلم إطلاقاً .

- هل تظن ان إحدى المرضتين يمكن رشوتها ؟

فهز رأسه نافياً وقال :

- كلا .. مطلقاً .. فهما شديدتان جداً ومتمسكتان بتقاليد المهنة .. أضف إلى ذلك انها تخشيان الاقدام على عمل كهذا وتعرفان الخطر الذي يترتب عليه .

فقال بوارو :

- هذا صحيح .

ثم أضاف في تفكير

- يبدو إننا ندور في حلقة مفرغة . من الذي يحتمل أن يكون قد أخذ تلك الانبوبة من المورفين ؟ هل هي اليانور كارليس ؟ قد نقول انها رغبت في ان تتعجل وراثتها لثروة كبيرة .. وقد نقول ونحن اكثر كرمًا انها أخذت المورفين وقدمته لعمتها بدافع الرحمة تلبية لرجاء عمتها المتكرر .. ولكنها تكون عندئذ هي التي أخذته .. وان ماري جيرارد شهادتها وهي تفعل ذلك ..

وهكذا نرى اننا نعود مرة أخرى إلى « السنديتشات » وإلى المنزل الخالي ونجد مرة أخرى اليانور كارليس . ولكننا في هذه المرة نجد أن لها دافعاً

آخر مختلفاً . وهو انقاذ رقبتها .

فصاح بيتر لورد :

- هذا محض خيال .. انها ليست من هذا النوع من الناس .. انها لا تعنى بالمال . وأيضاً رودريك ويلمان .. وهذا ما اعترف به فلقد سمعتها يقولان هذا .

- هل لها أقارب . اعني اليانور كارليسل ؟ اخوات .. ابناء عم .. أب او أم ؟

- لا ، إنها يتيمة .. وحيدة في هذا العالم .

- إن هذا يبدو مؤلماً وانا واثق أن بولر سيستغل ذلك إلى أبعد مدى .

- ومن إذن يرث أموالها إذا ماتت ؟

- لا أعرف .. إنني لم أفكر في ذلك .

فقال بوارو مؤنباً :

-- يجب على المرء ان يفكر دائماً في هذه الأشياء . فمثلاً .. هل كتبت وصيتها ؟

واحمر وجه بيتر لورد وقال :

- أنا .. انا لا اعرف .

فنظر بوارو إلى سقف الغرفة ووضع اصابع يديه بعضها على بعض ثم قال :

- انت تعرف انه من الأفضل ان تقول لي ..

- اقول لك ماذا ؟

- ماذا يدور في ذهنك بالضبط ..

- كيف عرفت ؟

- نعم . نعم .. انا اعرف .. إن هناك شيئاً . حادثة ما في ذهنك .

- انها حادثة تافهة .

- لعلها كذلك . ولكن دعني اسمع ما هي .

وفي ببطء سمح بيتر لورد لنفسه بأن يذكر القصة .
قصة ذلك المنظر عندما شاهد اليافور في نافذة كوخ الممرضة هوبكنز وهي
تضحك ملء شديها .

فقال بوارو :

- قالت هذا « اذن انت تكتبين وصيتك يا ماري .. هذا امر غريب ..
امر غريب جداً » . وكان واضحاً جداً في ذهنك ماذا يدور في خلدتها ..
تصورت انها كانت تفكر في ان ماري جيرارد لن تعيش طويلاً .

فقال بيتر لورد :

- انني فقط تصورت هذا انا لا اعرف ..

الفصل التاسع

- رافق الدكتور لورد مسيو بوارو إلى كوخ المريضة هوبكنز حيث قدمه لها ، ثم بنظرة من بوارو - استأذن في الانصراف وتركها منفردين وجهاً لوجه ، وتطلعت المريضة شوراً إلى ذلك الغريب ، ثم قالت :
- لقد كانت ماري من أجل الفتيات اللاتي رأيتهن في حياتي وجديرة باعجاب مسز ويلمان بها ، ذلك الاعجاب الذي فاق كل وصف .
- هل اعتادت مس الينانور أن تزور عمتهما من وقت لآخر ؟
- عندما كان يروق لها .
- يخيل اليّ إنك لا تحبينها ؟
- أحبها ؟ هل أحب مجنونة . قاتلة ؟
- إذن فقد جزمت بأنها القاتلة ؟
- من سواها ؟ هل انا الذي قتلت ماري المسكينة بالسم ؟
- لا داعي للهباج والاذنعال ، فقد أردت أن أقول ان الادانة لم تثبت ، وانها لم تحاكم بعد .
- جريمتها لا تحتاج الى دليل ولن انسى كيف صعدت بي واحتجزتني ما استطاعت فلما هبطت الدرج وجدت ماري مسمومة ، وشاهدت علامات

الاجرام مرتسمة على وجه القائلة القاسية .

- ولم لا تكون ماري قد انتحرت ؟ ربما دست شيئاً في الشاي .
- هذا هراء ، ليس ثمة ما يحمل فتاة ريانة الشباب والأمل على أن تقضي على حياتها بنفسها .

- قد تكون اخفقت في حبها !

- لم تكن ماري من هذا النوع ولم نسمع بالمحبين ينتحرون الا عندما يعارضهم آباؤهم أو تقف عائلاتهم عقبة كؤود في سبيل سعادتهم .
- أليس لها معجبون !

- إنها فتاة هادئة وليست من هؤلاء اللائي يفضن بالنساء الجنسي ، ولم أعرف معجباً بها سوى تيد بيجلانند ، ولكنها لم تشجعه لأنه كان أدنى منها مرتبة وتعليماً .

- ألم يغضبه هذا !

- لقد تألم ولكنه كان ينحى عليّ باللائمة لأنه كان يعرف جيداً انني نصحتها بالتعالي عن التفكير في شاب بسيط مثله .

- وماذا حملك على التحمس للفتاة بهذا القدر !

- كل ما فيها كان يبعث على حبها .

- ولكن كيف تتعالي وهي ابنة حارس بيت وتقيم في كوخ ؟

- كلا .. كلا .. لم تكن ابنته بل ابنة أحد السادة .

- وأمها ؟

فترددت وغضت شفرتها ثم قالت :

- كانت أمها وصيفة لمسز ويلمان وقد تزوجت جيرارد بعد أن ولدت

ماري كم في الدنيا من المأسوي .

فتنهده بوارو كأنما يشاطرها اساهها بينما استطردت قائلة كأنما روعت

فجأة :

- ولكن ما كان يجدر أن أتحدث هكذا عن الموتى !
- اظنك تعرفين والدهما كذلك ؟
- في وسمي أن اطمئن لأن للخطايا القديمة ظلالاً طويلة كما يقولون ولكنني أوثر عدم الخوض في سيرة من انتقلوا الى العالم الآخر.
- هناك مسألة أريد ان اعتمد فيها على نظرتك الصائبة للأمور وحكمتك في الحكم على الأشياء : هل صحيح أن مستر رودريك كان مفتوناً بماري جيرارد ؟
- وغر المرأة ذلك المديح فقالت :
- لقد جن بها خاصة وأن حبه لخطيبته اليانور كان في الحقيقة فاتراً .. بارداً !.
- وهل شجعته ماري جيرارد ؟
- كلا .. كلا .. على الاطلاق . لا شك ان ماري تكره العجلة وقد نبهته الى أن له خطيبة .
- وما رأيك الخاص في مستر رودريك ويلمان ؟
- إنه ظريف لطيف . سريع الانفعال أحياناً .
- أكان يحب عمته الراحلة ؟
- أعتقد ذلك .
- هل جلس معها كثيراً أثناء اشتداد المرض عليها ؟
- لا أظنه دخل حجرتها في المرة الأخيرة . كما انها لم تسأل عنه ولم يكن أحد منا يفكر إنها مشرفة على الموت . وهكذا معظم الرجال يجفون من منظر المرضى وخاصة إذا كانوا يعانون آلاماً مبرحة .
- أواثقة انه لم يدخل إلى غرفة عمته قبل ان تموت ؟
- لم يحدث ذلك عندما كنت قائمة بعلمي الى ان حلت اوبريان محلي في الساعة الثالثة صباحاً وربما تكون العممة قد استدعته عندما أشرفت على النهاية .

- الا يجوز انه دخل الغرفة اثناء غيابك ؟
- أنا لا أترك مريضتي قط .
- ألم تخرجني لغلي ماء أو تهبطي لداع هام ؟
- الواقع انني نزلت لأغير الزجاجات واعدت ملاءها بالماء الساخن من المطبخ ولكنني لم أغب أكثر من خمس دقائق ولو ان مستر رودريك زارها في تلك الأثناء لقام بذلك بسرعة عجيبة .
- الحق ان الممرضات اللاتي على شاكلك اشبه بملائكة الرحمة .
- شكراً لك يا سيدي ، الواقع ان مهمتنا شاقة ونبيلة
- أهناك شيء آخر تستطيعين الادلاء به عن ماري جيرارد!
- لا أعرف غير ما قلت .
- أواثقة !
- لا شيء غير ما سمعته مني .

* * *

- وانصرف بوارو إلى منزل مسز بيشوب المحافظة التي تكره مقابلة الأجانب ولذلك قابله مستاءة متقززة وابتدرته قائلة :
- إن البوليس بقبضه على مس اليا نور قد اثبت غبائه وتصديقه الشائعات بسهولة .
 - وهل فصح رودريك خطبته لها لأنه صدق بدوره هذه الإشاعات !
 - كلا انه يحبها وهي تحبه ولكن الحية سميت بينهما ، هذه الحية الناعمة ماري جيرارد .
 - كدت اصدق ما يقال من أن ماري فتاة وادعة !
 - انها ناعمة الملمس فقط ، وبهذا اكتسبت حب الكثيرين وفي مقدمتهم

سيدتي المسكينة الراحلة والمرضة هوبكنز ، يجب أن يخرس صوت ماري بأبي
ثمن . وانني أؤكد لك انه بلغ من ذهابها ان حملت مسز ويلمان على تعهدهما
دائماً والانفاق على تعليمها هنا وفي الخارج بأهظ النفقات .. وجعلت منها
« سيدة » فوق مرتبتها ثم ما لبثت أن أوقعت مستر رودريك الساذج القلب
في حبائلها .

- ألم يكن لها معجبون من طبقتها ؟

- طبعاً .. فقد اغرم بها تيد بيجلانز ، ولكنها شمخت عليه بأنفها ..

- ألم يثر لهذه المعاملة منها ؟

- نعم وأتهمها باغراء مستر رودري .. انا لا الوم الشباب .

- ولا انا . واهنتك يا مسز بيشوب بقدرتك على الإيضاح والإيجاز ..

لقد اعطيتني صورة واضحة لماري جيرارد ..

- احب ان تعلم انني لا اقصد إلى تجريحها وهي في قبرها ولكن لا شك في

انها سببت قدراً كبيراً من العناء والمتاعب ومن رحمة الله ان ماتت مسز ويلمان
قبل ان تكتب كل ما تملكه لهذه الفتاة ..

- الا ترين ان وفاة هذه الفتاة كانت في ظروف غاية في الغموض ؟

- البوليس هو الذي خلق هذا الغموض وجر مسز اليانور الى هذه التهمة

الطائشة ، بل لقد حاول البوليس إشراك في الأمر بدعوى انني قلت ان
سلوك مسز اليانور كان غريباً في الأيام الأخيرة .

- وهل كان سلوكها غريباً حقاً ؟

- وكيف لا يكون وقد فقدت عمتها وخطيبها ؟

ألا تلومين مستر رودريك على أنه لم يزر العممة في تلك الليلة . ؟

- أنت مخطيء ، يامسيو بوارو لأنه دخل ورآها ! فقد كنت على درج

السلم عندما سمعت الممرضة تهبط الدرج ورأيت أن أدخل على المريضة لعلها

تحتاج الي في ثرثة مع الخادمت وتغيب عن المريضة .. واذ ذاك لمحت مستر
رودي يتسئل الى غرفة عمته ..

– أنك حصيفة ذكية فماذا ترين في موت ماري جيرارد .. ؟ وهلا تعتقدين
أنها انتحرت . ؟

– أنتنجر فتاة ورثت وقررت أن تتزوج مستر رودي ؟ ! كلا كلا أقص
هذا من مخيلتك ..

الفصل العاشر

وفي يوم الأحد كان تفيد بيجلاندي في مزرعة والده عندما قدم اليه بوارو نفسه . ولم يجد عناء في حمل الشاب على الكلام بل بادره هذا متحمساً وقال :
ثق يا سيدي أن مس اليانور لا تلجأ الى العنف فما بالك الجريمة ؟ أن طبيعتها غير ما يظنه رجال البوليس . .

– ألا يصح أن تدفعها الغيرة الى ذلك . ؟

– الغيرة ! ان بعض الجرائم وليدة الغير كما أعلم ، ولكن القاتل لا يقدم على جريمته الا اذا كان قد امتلأ قلبه بالحقد أو أعمته الخمر . أما مس اليانور فسيده هادئة وادعة . .

– ومن قتل ماري جيرارد اذن ؟

– لا أعتقد ان انساناً كان يحقد على هذه الزهرة اليانعة . .

– اكنت تريد زواجها . ؟

– نعم ولكنها . . تغيرت بعد ان تلقت قسطاً كبيراً من التعليم اذهلها . .
وليس معنى هذا أنها كانت فظة معي بل كانت طيبة واكتفت بأن تجعلني أفهم
أني لم أعد أهلاً لها . وان كنت أظن أنها ليست أهلاً كذلك لسيد حقيقي مثل
مستر رودريك ويلمان . .

- أتكره مستر روديك . ؟
- كلا لكنني تألمت لحومه حول ماري رغم أنها ليست من طبقتته ..
- أين كنت وقت أن ماتت الفتاة ؟
- في حظيرة السيارات حيث كنت أفحص سيارة وقد جربتها قليلا في ذلك الصباح المشرق العليل الهواء
- أكانت مسز بيشوب مديرة هنتربري تكره ماري ؟
- كانت تحقد عليها لمكانتها عند مسز ويلمان .
- وهل كانت المريضة هوبكنز تحبها ؟
- لا شك في أن هذه المريضة الثرثرة كانت تعطف على الفتاة ولكنها كانت تحضها على كسب مياشها بممارسة التدليك .
- يخيل الي أن هذه الثرثرة لم تفض بكل ما تعلمه عن ماري جيرارد وتلقي ضوءاً على مقتلها !



وتطلع بوارو باهتمام الى وجه روديك ويلمان وبرتاء الى حالته العصبية ونظراته الحائرة ، وتأمل الفتى البطاقة قليلا ثم قال .
لقد سمعت عنك كثيراً يا مسيو بوارو ، ولكنني لا أرى ما يعتقده الدكتور لورد من أنك تستطيع شيئاً في هذه المأساة ، بل ولا أدري دخله في هذا الشأن بعد أن انتهت مهمته من عيادة عمتي وأصبح غريباً هنا .

فأجابه بوارو في هدوء :

- قد لا يسيئك أن تعلم أنني أحاول أن أقدم معونتي الى مس اليانور في محنتها ؟
- كلا .. كلا . ولكن ..

- أتريد أن تقول ولكن ماذا في وسعي أن أعمله ؟
- قد يبدو في هذا التصرف خشونة مني ولكنه الواقع .
قد اكتشفت حقائق تدرأ عنها الاتهام
- حبذا لو استطعت ! اتوسل اليك ان تفعل

عليك فقط أن تساعدني بأن تخبرني برأيك في كل هذه المسألة .
فقام رودي يذرع الغرفة في قلق واضح ثم قال :

- ماذا اقول وأنا لا استطيع تصور اليانور مجرمة قاتلة ؟! انها مخلوقة
دمثة هادئة ذكية شديدة الحساسية ، مرهفة الحس خلو من الغرائز الحيوانية ،
ولكنني لا استطيع كذلك ادانة الممرضة لأنها لم تقترب من السنديويتش ولم تكن
تستطيع تسميم الفتاة دون أن تتسمم بدورها ولأنها ليس لديها ما يدفعها الى
قتل الفتاة .

- هذا ينطبق تماماً على الحقائق التي جمعتها ولكن هل صحيح ما يشاع
من أنك كنت معجباً بالقتيلة ؟
- نعم .. بل لقد احببتها وقد حطم قلبي موتها .. ولكنني في الواقع .. لا
أدري بالضبط حقيقة مشاعري ، اذ يخيل الي انني كنت في حلم .. صحت
منه .

- ألم تكن في المجلثرا عندما ماتت ؟

- كلا .. رحلت الى الخارج في ٩ يوليو ثم عدت في أول أغسطس
عندما تبعني برقية اليانور من مكان الى آخر فأسرعت راجعاً بمجرد ان تلقيت
الانباء .. وكانت صدمة شديدة في الواقع .

- هي الحياة لا تهـادن ولا تدع الانسان يهـيء أموره وفق مشيئته
وبالطريقة التي يراها ا
- ورفه عني انني لا أعرف الكثير عن القتيلة وان افتتاني بها كان نزوة
عابرة أو حلماً لم يطل .

- هل ازعجك الخطاب الذي تلقته اليانور غفلاً من الامضاء ؟ هل كان يتندر بضياع ميراث العمه ؟

- ليس لعمال عندي هذه الأهمية التي تتصورها .

- هذا عزوف عجيب عن الدنيا ! .

- هذا لا يعني انني لا أبالي مطلقاً بالأمر المادية ، ولكنني وجدتتها فرصة للاطمئنان على العمه فجئت واليانور .

- وماتت العمه في الليلة التي كانت ترمع فيها كتابة وصيتها بمجرد وصول المحامي .

- اصغ إلي يا مسيو بوارو ا ماذا تريد أن تقول ؟

- لقد حذر الخطاب اليانور من خطر ضياع الميراث أو بعضه .. وفي الردهة بالطابق الأول كانت حقيبة الممرضة هوبكنز وبداخلها مواد كيميائية وعقاقير من بينها أنبوبة مورفين وحدث - كما علمت - أن جلست اليانور وحدها مع عمتهما بينما كنت أنت والممرضتان تتناولون العشاء .

- يا لله يا مسيو بوارو ا أتعني أن اليانور قتلت عمتهما ؟ يا له من ظن يشير العجب والسخرية !

- ألم تعلم أن المحقق طلب تشريح جثة العمه بدافع من هذا الشك ؟

- نعم أعلم ولكنهم لن يجدوا شيئاً يؤيد سخافة هذا التفكير من المحقق .

- وإذا وجدوا .. فرضاً ؟

- كنت أظنك هنا لمساعدة اليانور ؟

- هذا لا يمنع من مواجهة الحقائق يا مستر رودريك حاول أن تفكر وأن

تعترف بأن اليانور كانت لديها الفرصة السانحة .

- ولماذا لا تكون إحدى المرزتين هي الآثمة ؟
- ولكن هوبكنز كانت شديدة القلق بسبب إختفاء الأنبوبة ولم تكتم
خبر إختفائها ، ولو كانت هي القاتلة لأسدلت على إختفائها الستار حتى لا
توجه اليها الشكوك ، وكذلك الحال مع أوبريان ثم أي دافع لهما على ارتكاب
جريمة لا يفيدان منها على الإطلاق !

فهز الشاب رأسه وقال :

- هذا حقيقي مع الأسف ..

- إذن بقي أنت .

فروع رودي وصاح كالجواد الثائر :

- أنا ؟

- نعم .. كان في وسعك أن تأخذ الأنبوبة وأن تعطيتها لمسز ويلمان
ولكن كتابة الوصية كان معناها بلا شك أن تمنحك العمة جزءاً من ثروتها
ثم جاء موتها ضرراً لك .. وهذا وحده الذي يبريء ساحتك .

واسترد الشاب أنفاسه اللاهثة واستطرد بواروقائلاً :

- هناك شخصان يفيدان من موت العمة : اليانور وكاتب الخطاب الغفل
من الامضاء .. وهو شخص يكره ماري جيرارد ويعمل لمصلحتك ولا يريد
فائدة لماري من وراء موت العمة ..

ألديك فكرة عن كاتب هذا الخطاب ؟

- انه شخص غير متعلم .

- قد يكون العكس ، وأنه أراد فقط أن يخفي حقيقته بكتابته العرجاء
في الأسلوب والهجاء .. ألا تكون مسز بيشوب هي كاتبته ؟

- لا أظن .. انها وقور وخطها جميل ولا تقدم على هذا ..

ولكن لماذا لا تكون عمتي قد انتحرت بعد أن كرهت مرضها وعجزها
عن الحراك ؟

- لم يكن في وسعها النهوض من فراشها والهبوط إلى الطابق الأول وتتناول الأنبوبة من حقيبة الممرضة ..
- ولماذا لا تكون إحدى الممرضتين قد عاونتها على ذلك ؟
- لأن هذا يضعها في خطر ..
- إذن فهو شخص آخر قد يكون ..
- تكلم .. تكلم . متى قالت لك اليانور ذلك !.
- يا لك من ساحر .. كنا عائدتين في القطار بعد أن تلقينا برفيقة بأن العممة أصيبت بالفالج للمرة الثانية ، وكانت اليانور شديدة الحزن على عمته وراحت تتحدث عن كراهية المريضة لعودها في الفراش ، وقد قالت اليانور ان الأولى لكثير من المرضى أن ينقذوا من آلامهم وان ينعموا بالراحة التي ينشدونها .
- وماذا قلت أنت ..
- وافقتها على رأيها لأنه خير ما يجب أن تعمله المدنية .
- ألا ترى ان اليانور ربما قتلت عمته بدافع من الاشفاق عليها والرغبة في وضع حد لآلامها .
- كلا .. كلا .. لا أتصور إمكان ذلك .
- هذا ما توقعت أن تقوله .

* * *

- وفي مكتب المحامي مستر سيدون ، قوبل بوارو بحذر تام إن لم يكن بالريبة ، وعدم الطمأنينة ، وخاطبه المحامي قائلاً :
- اسمك ليس غريباً علي يا مسيو بوارو ، ولكني لا أدري ما هو مكانك من هذه القضية .

- إنما أعمل بدعوة من موكلي . دكتور لورد .
- لا أظننا في حاجة الى أية معاونة خارجية يا سيدي ..
- أهذا لأن براءة مس البيانور غاية في السهولة ؟ .

فطرفت عيننا المحامي وقال :

- يخيل اليّ أنك تعرف الكثير عن هذه القضية .
- نعم يا مستر سيدون ، وقد طلب مني مستر رودريك أن أعاون في اكتشاف الحقائق التي قد تدرأ عن البيانور هذا الاتهام ، واطمئنك الى انني لن اشاركك في الأتعاب التي قدرتها لنفسك من وراء الاضطلاع بهذه القضية .

فأشرقت اسارير المحامي وقال :

- الواقع كذلك انني مهتم بهذه القضية لأنني شعرت ان واجب الوفاء لمسز ويلمان ويقتضي الدفاع عن ابنة اخيها وان كنت لم اعتد ان أزج بنفسي في القضايا الجنائية .

- ثقي يا سيدي أن المتهم في حاجة الى اكثر من طلاقة لسانك وقوتك المشهودة في الفصاحة والخطابة والمرافعة .

- هذه حقيقتي يا مسيو بوارو وبماذا تنصح ؟

- بأن تجيبني عن اسئلي بصراحة .

- لا أستطيع أن اتعهد بالرد على كل سؤال لأن بعض الردود يستلزم ان أحصل اولاً على موافقة عميلتي .

- هل لعميلتك مس البيانور أعداء ؟

- كلا .. بقدر ما أعلم .

- ألم تكتب الراحلة مسز ويلمان أية وصية في حياتها ؟

- كلا ..

- هل كتبت البيانور وصية لنفسها ؟

- نعم .. حديثاً . بعد وفاة عمته .
- لمن تركت ما تملكه ؟
- هذا سر خاص ، لا أستطيع ان أبوح به ، قبل أن أرجع أولاً
لعميلتي
- سأتولى بنفسى مقابلتها .
- قد تجد صعوبة كبيرة في ذلك يا سيدي .
- كل شيء سهل ميسور لدى بوارو .

* * *

الفصل الحادي عشر

- هل عثرت على شيء يا مسيو بوارو ؟
- لقد قتلت اليانور ماري جيرارد بدافع الغيرة ، كما قتلت عممتها لسترت أموالها أو بدافع الشفقة لتريحها من آلامها .. وليس لك يا دكتور سوى ان ترجح احد هذين الدافعين على الآخر .
- هذا هراء .. وإذا كان من الممكن ان تقدم امرأة على القتل بدافع الشفقة لأن المريض زوجها او طفلها او امها فلست اتصور ذلك اذا كانت المريضة عمه لها مهما كانت تحب هذه العمه ولا تحتمل ان تراها تتعذب وتتلوى بالألم . ثم لا تنس ان مسز ويلمان لم تكن نهباً للآلام ولكنها كانت تكره المرض وتكره أن تظل قعيدة الفراش بلا حول ولا قوة .
- فهز رأسه وقال .
- ربما كنت على حق يا دكتور لورد ولكن . الا يجوز أن تكون المعجوز قد استطاعت إغراء رودريك بانها آلامها ؟
- كلا . كلا .. ان هذا الشاب آخر من يقدم على هذه الجريمة خصوصاً ..
- خصوصاً وانه ليس مدلهما بحب اليانور او العمه حتى ينسدف الى الزج

بنفسه في هذا المأزق

- هو ذلك ..

- هذا يجرنا الى نفس المكان وهو ان أحداً غير الينانور لا يفيد من موت العمّة وان أحداً لا يكره ماري جيرارد غير الينانور ، وبقي سؤال واحد يصح أن نلقيه على انفسنا وهو : هل هناك من يكره الينانور ؟

- لا أدري وان كنت ارى ما ترمي اليه من البحث عن شخص يكون قد دبر ذلك بحيث تقع التهمة على الينانور دون سواها .

- هذا مجرد رأي بعيد الاحتمال ولا يؤيد سوى ما نراه من تجمع الأدلة كلها على رأس الينانور .

ثم حدث الطبيب عن الخطاب الذي تلقته الفتاة غفلاً من الامضاء وكيف يعني ان الفتاة حذرت من ماري جيرارد ومن محاولتها الظفر بثروة العمّة كلها ، فلما طلبت مسز ويلمان استدعاء المحامي وجدت الينانور ضرورة اخماد انفاسها في تلك الليلة .

فصاح لورد :

- ورودريك ويلمان ؟ انه ايضاً كان يخشى ان تضيع الثروة منه او من خطيبته ا

- وعلى العكس كان من مصلحته ان تكتب العمّة وصيتها لأنه كان واثقاً من انها لن تتركه من غير ان توصي له بشيء من ثروتها الطائلة فلما ماتت هكذا لم يظفر بشيء كما تعلم .

فأمسك الدكتور برأسه وهو يشن قائلًا :

- دائماً يعود الاتهام مرتداً اليها !

نعم .. ما لم نعرف الهمس الذي يدور حول ماري جيرارد ، ويمنعنا من الوصول الى حقيقته ايمان الناس بعدم الخوض في مساوىء الموتى .

- أتعني شيئاً يس سمعتها ؟
- أي شيء ! أي شيء ! أي شيء يسىء اليها وحسب !
- ثق انك لن تجد ما يشير أي غبار حولها .
- لا تظنني أحاول أن أثير الأوحال حيث لا أوحال .. كلا يا صديقي ،
- ولكنني أشعر جيداً ان الممرضة هوبكنز تخفي حقيقة مشاعرها وانها تخفي شيئاً عن ماري لا تحب أن تلوكة الألسنة ولا تريد ان أهتدي اليه لأنه لا صلة له بالجريمة والذي يهمني يادكتور هو أن أعرف كل شيء ، لعل شيئاً يهديني إلى ظلم وقع من ماري على شخص آخر ويكون الدافع إلى قتلها .

* * *

طوحت الممرضة أوبريان رأسها ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهي ترمق بوارو الجالس قبالتها إلى إحدى الموائد عندما قال :

- يسرني أن أقابل من يمتلىء هكذا صحةً وحيوية .. ولا شك في أن مرضاك يشفون كلهم .

- قليلات من تمن من مريضاتي مثل مسز ويلمان
- ثم تنهدت وقالت :
- لقد سمعت انهم أخرجوا جثتها وشرحوها .
- هذا طعن في شهادة الدكتور لورد بأنها ماتت ميتة طبيعية ولا تنسى انه طبيب العائلة ويخشى أن يسىء اليها .
- ألا يجوز أن تكون مسز ويلمان قد انتحرت ؟
- ما كان في استطاعتها وهي راقدة بلا حول ولا قوة أن ترفع إحدى يديها عن الفراش .

- ربما ساعدها إنسان على ذلك .

- أتعني مس الينانور أو مستر رودريك أو ماري جيرارد ؟ ان أحدهم لا

يجرؤ على ذلك

- متى فقدت الممرضة هوبكنز أنبوبة المورفين ؟

- في نفس ذلك الصباح .

- ألم يثر فقدانها أي قلق في نفسك أو نفسها ؟

- حتى عندما تحدثت عن ذلك معي في مقهى البلوتيت كان رأينا أنها تركتها على الموقد فسقطت في سلة المهملات ، ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك .

- وما رأيك الآن ؟

- لن يكون لهوبكنز دخل إلا إذا ثبت أن مسز ويلمان ماتت بفعل المورفين !

-- وهل تشكين في أن اليانور هي قاتلة ماري جيرارد ؟

- رأيي أنها دون غيرها القاتلة ، إنها كانت بجانب العمدة وسمعت رغبتها في كتابة الوصية في مسلحة ماري جيرارد ، ثم رأيته بعيني وهي تتطلع إلى ماري بنظرات تملئ بالحقد والكراهية .

- وإذا كانت اليانور قد قتلت عمته فماذا دفعها إلى ذلك ؟

- المال . خوفها من أن تكتب لماري كل ما تملكه .

- هل كانت ماري على دهاء كبير إلى هذا الحد ؟

-- لم تكن الفتاة في حاجة إلى دهاء ولكنه كان حبا طبيعيا وحنانا غير متكلف أغدقته الفتاة على من علمتها وأنشأتها وأوفدتها إلى الخارج لتتلقى أحسن العلوم والمعارف ..

- إنك غاية في العقل والحصافة .

- مالي والتحدث فيما لا شأن لي به .

- يبدو لي أنك اتفقت مع الممرضة زميلتك على كتمان بعض الأشياء .
فهزت أوبريان رأسها وقالت :

- أي فائدة في إثارة الأوحال وقصة قديمة بعد أن عاشت العجوز وماتت محترمة وقوراً . كان ذلك منذ زمن بعيد جداً ولقد كان من رأي دائماً انه من الصعب على رجل أودعت زوجته مستشفى الأمراض العقلية أن يظل مرتبطاً بها طوال حياته دون أن يقوى شيء على فك عقاله سوى الموت ..

- نعم من الصعب جداً ..

- ومن عجائب المصادفات ان أسمع اسماً ثم لا البث بعد يومين ان أجده يطرق أذني ، وأن أرى صورة (فوتوغرافية) وفي نفس الوقت تكون هوبكنز تصغي لقصة صاحب هذه الصورة ترويها مدبرة بيت الطبيب !
- أكانت ماري جيرارد تعلم شيئاً عن هذا ؟

- كلا بالطبع .. لم يفكر أحدنا في التنغيص عليها بذكره دون فائدة .

* * *

ولم يتردد المفتش بيكلي في تسهيل مهمة بوارو لدى مدير سكتلانديارد وسرعان ما سمح له بمقابلة السجينة اليانور كارليس . وجلست الفتاة في الطرف الآخر للمنضدة وحيدة مع بوارو إلا من حارس يفصله عنهما جدار من الزجاج .

وتبدى للزائر ذكاء الفتاة وكبرياؤها وجمالها الفائق . وما لبث أن خاطبها قائلاً .

- أنا بوارو .. أرسلني الدكتور بيتر لورد اعتقاداً منه إنني قد أستطيع مساعدتك .

فتمتمت الفتاة : بيتر لورد .

ثم ابتسمت وقالت :

هذا فضل منه ومنك ولكنني أعتقد أن ليس في وسعك عمل شيء

لمصالحتي

- هل لك أن تجيبيني عن أسئتي ؟

- أتعتقد أولاً انني بريئة ؟

- وهل أنت كذلك ؟

-- أهذا نوع من الأسئلة التي جئت تطرحها عليّ ؟ ما أسهلها يا سيدي !

- لقد قابلت ابن عمك مستر رودريك ويلمان وهو يبذل كل ما في

وسعه لمساعدتك .

- أعرف ذلك

ولس رقة في صوتها في المرة فسألها :

- أهو غني ؟

- انه مسرف ولذلك لم يبق لديه إلا القليل ، ولكن أحدنا لم يهتم بذلك

لأننا كنا نعلم أن يوماً ما ..

- سوف ترثين عمته ..

ثم تأمل عينيها واستطرد يقول :

- أظنك سمعت ان عمته ماتت بالمورفين ؟

- أنا لم أقتلها ..

- ألم تساعدتها على قتل نفسها ؟

- كلا .. كلا ..

- ألم تعلمي بأن عمته كتبت وصية ما من قبل ؟

- كلا .. لم أعلم بهذا قط .

- وهل كتبت أنت وصيتك عندما حدثك الدكتور لورد عنها ؟

- نعم .

- ولما تركت أموالك في وصيتك ؟

- لرودي .. تركت كل شيء لرودريك ويلمان

- أيعرف ذلك ؟
 - كلا ..
- ألم تتحدثني بذلك اليه قبل كتابة الوصية ؟
 - كلا .. إطلاقاً .. فما كان يرضى بأن أفعل ذلك . ولا يعرف بما فعلته سوى مستر سيدون وكتبة مكتبه .
- هل أرسلت خطابك إلى المحامي بالبريد ؟
 - نعم .
- هل أودعت الخطاب بنفسك صندوق البريد ؟
 - كلا .. أرسلته مع بقية الخطابات .
- هل تلوت الخطاب أكثر من مرة قبل أن تحزمي رأبك على إرساله ؟
 - كتبته ثم قرأته ، ومضيت الى المكتبة لأجىء بطوابع البريد ثم قرأته مرة اخرى .
- أ كان معك أحد في الغرفة ؟
 - رودى فقط .
- هل عرف ما كنت تفعلينه ؟
 - قلت لك .. كلا ! .
- هل كان في وسع احد ان يقرأ الوصية في اثناء غيابك في المكتبة لإحضار طابع البريد ؟
 - لا ادري .. إذا كنت تعني أن احد الخدم إلى الحجرة قبل ان يدخلها رودريك فقد كان يمكن ذلك .
- ولماذا تستبعدين ذلك على مستر رودريك فأجابته في صوت مشوب بالاستخفاف : أؤكد لك أن رودى لا يقرأ خطابات الغير بحال .
- أفي ذلك اليوم بالذات خطرت لك فكرة قتل ماري ؟

فاشتعل وجهها بالحنق وقالت :
- أهو الدكتور لورد الذي اخبرك بذلك ؟
- عندما اطلت من النافذة ورأيتها تكتب وصيتها لم تضحكي وتساءلي :
هل يمكن ان تموت هذه الفتاة ؟

- وهل تثق بما اجيبك به ؟ الا تخشى ان اكاب عليك .
- ان المستمع الى الأكاذيب يستطيع ان يستنتج منها ما قد لا يستطيع
استنتاجه من الأقوال الصادقة . فلنبدأ الآن : لماذا رفضت ان ترافقك مسر
بشوب إلى المنزل ؟

- رغبة مني في ان اكون بمفردي .. لأنني كنت في حاجة إلى التفكير .
- وماذا فعلت بعد ذلك ؟
- اشتريت علبة سمك محفوظ ثم مضيت الى هنتربري حيث صعدت إلى
حجرة عمي ونقبت بعض الوقت في اوراقها .
- ألم تعثري بين تلك الأوراق على شيء خاص له سرية؟
- ماذا تعني ؟
- استمري إذن وارفضي الإجابة على ما يروقك من الأسئلة . ماذا فعلت
بعد ذلك ؟

- هبطت إلى القبو وأعددت الشطائر
- وكنت تفكرين في تلك الأثناء في القضاء على ماري
فامتعت اسارير الفتاة ولكنها لم تبال بالرد عليه واستطردت تقول :
- أعددت الشطائر على الصحفة ومضيت إلى الكوخ حيث كانت الممرضة
هوبكنز مع ماري جيراند فدعوتها لالتهام بعض الشطائر في المنزل في غرفة
الجلوس وبعد ان اكلنا تركت ماري واقفة بجوار النافذة وذهبت إلى القبو
حيث كانت الممرضة تغسل الصحاف فأعطيتها علبة السمك .
- وهل تغسل علبة السمك ؟

- إنها علبه من النوع الجيد الذي يحتفظ به لاستعماله في حفظ التوابل وغيرها ولا يهمل بمجرد تفريغ محتوياته .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟ فيما فكرت إذ ذاك .

فقلت كالحالمة : كان برسغ الممرضة ندبة أشبه بعلامة او اثر جرح ، وقد أوضحت أن شوكة ورد من افريز الكرخ قد وخزتها ، وطالما تشاحنت مع رودى في صغرنا بسبب حبسه الورد الأبيض وإيشاري الورد الأحمر العطر ، وطاف برأسي شبح كراهيتي لمارى جيرارد ولكنى سرعان ما اقصيته عن خاطري ، وشعرت بأننى لم اعد ابغضها فضلاً عن ان اتنى موتها .

- ولكنك ما لبثت ان عدت الى غرفة الجلوس لتجديها تلمظ انفاسها الأخيرة

- أتريد ان تسألني مرة اخرى : هل انت التي قتلتها ؟

فنهض على قدميه بسرعة وقال :

- لن أسألك شيئاً ، توجد اشياء لا رغبة لي في معرفتها .

الفصل الثاني عشر

كان الدكتور لورد في انتظار القطار استجابة لرجاء بوارو فلما شاهده يهبط ابتدره قائلاً :

– لقد بذلت ما في وسعي لأحصل على أجوبة لأسئلتك يا مسيو بوارو فقد ذهبت ماري جيرارد إلى لندن في ١٠ يوليو كما استطيع أن أرافقك إلى مسز سلاتري خادمة سلفي الدكتور رانسام .

– يحسن أن أقابل هذه المرأة أولاً .

– لقد قلت أنك تريد أن تذهب إلى هنتربري وفي وسعي أن أذهب معك إلى هنالك وان كنت لا ازال أعجب لعدم ذهابك إلى اليوم باعتبار هنتربري مكان الحادث .

– يبدو أنك تقرأ كثيراً من القصص البوليسية يا صديقي ومع ذلك فقد سبقني البوليس الى هناك واستجمع الأدلة التي حملته على القبض على اليانور ، ولكنني الآن أجدني في حاجة إلى الذهاب إلى هنتربري بعد أن عرفت ما يجب أن أبحث عنه .

– إذن فأنت تعتقد أن هناك أشياء فانت رجال البوليس ؟

– ربما .

- أهى فى مصلحة اللىانور ؟
- لا أدرى بعد . صبراً يا عزيزى .

* * *

وتناولوا الغداء بعد ساعتين فى منزل الطبيب فى غرفة جميلة تطل على الح
حيث قال لورد

- . هل اهتديت إلى معرفة ما كنت تريده من العجوز سلاترى .
- نعم . وكان حديثنا عن الأيام الخالية لأن كثيراً من الجرائم تنب
جذورها فى الماضى وأظن جريمتنا من هذا النوع .
- الحق أننى لا أفهم كلمة مما تقول يا مسيو بوارو لماذا تتركنى أتخبط فى
الظلام ؟
- لأن الضياء لم ينبثق بعد ولأننى ما زلت أصطدم بحقيقة لا تتغير وهى ان
لا أحد تتوافر لديه الدوافع إلى قتل ماري جيرارد غير اللىانور .
- ولكن ماري كانت فى المانيا فترة طويلة .
- أعرف ذلك ، وقد وافتنى عيونى بالمانيا بما يهمنى من المعلومات عن هذه
الفترة .
- وهل لك عيون ؟
- نعم وأحدهم رجل كان من اللصوص الأشقياء ثم اهتدى ، وكانت أول
مهمة عهدت بها إليه أن ينقب كل ركن فى شقة منستر روديك ويلمان .
- لماذا ؟ هل تعتقد أن الشاب قد كذب عليك فى حديثه .
- الواقع أن كل انسان هنا حاول الكذب والتمويه حق أنت .
- يبدو ان عدم تصديق الناس طبيعة فى نفسك ! تعال بنا إلى هنتبريرى
لأن لى مرضى فيها .

- أنا رهن أشارتك يا دكتور .
ومضيا على الأقدام ودخلا من البوابة الخلفية ، وفي منتصف الطريق إلى
المنزل قابلهما شاب طويل القامة صبيح الوجه يدفع عربة ولما شاهدهما رفع
قبعته باحترام فخطابه لورد قائلا :
- طاب صباحك يا هرليك . هذا هرليك البستاني يا مسيو بوارو . لقد كان
يعمل هنا في ذلك الصباح .
فقال للشاب : نعم يا سيدي وقد شاهدت مس الينور في ذاك الصباح
وتحدثت اليها .

فسأله بوارو ماذا قالت لك ؟
- وعدتني بالتوصية علي والتحدث بشأني إلى الميجر سمر فيل الذي
اشترى منها هنتبري .
- هل كانت طبيعية يا هرليك ؟
- نعم . فيما عدا أنها كانت منفعلة بعض الشيء ، كأنها يحتشد رأسها ببعض
الأفكار .

- هل عرفت ماري جيرارد ؟
- بعض الشيء ، يا سيدي . ولقد كان والدها يكرر فيها روح التعالي
والتسامي ومبلغ ما حصلته من التعليم الراقى .
- أتستطيع أن ترى المنزل من حديقة الخضر ؟
- كلا ياسيدي .
- لو أن انساناً قدم ووثب من نافذة القبو . هل في وسعك أن تراه من
حديقتك ؟

- كلا .. كلا .
- متى ذهبت لتناول الغداء ؟
- في الساعة الواحدة يا سيدي .

- ألم تر شيئاً . أي رجل يحوم في المكان ، أو أي شيء من هذا القبيل ؟
فرفع حاجبيه مشدوهاً ثم قال .
- نعم . كانت هناك عربة في خارج البوابة الخلفية .
فصاح لورد :

- لم تكن عربتي ، فقد مضيت إلى ويزنبري في ذلك الصباح ، ولم أعد إلا
بمد الثانية .

فبدأ الارتباك في وجه البستاني ثم قال لقد كانت سيارتك يا سيدي .
وأسرع الطبيب يقول : كلا . كلا . طاب يومك يا هرليك .
وظل الشاب يحملق في ظهريهما إلى أن اختفيا عن عينيه فعساده يدفع
عربته أمامه .

وقال الطبيب في هدوء يخفي به انفعاله :
- ترى عربة من تلك التي كانت واقفة هناك في ذلك الصباح .

فسأله بوارو : ما نوع سيارتك ؟

- فورد اخضراء اللون وأنا واثق أن تلك السيارة لم تكن سيارتي لسبب
أهم وهو أنني كنت في ويزنبري وعدت متأخراً لالتهم غذائي بسرعة وما
لبثت أن دعيت لاسعاف ماري جيرارد . إذن فقد كان هنا أحد في ذلك الصباح
غير اليانور وماري وهوبكنز .

ولما اقتربا من المنزل أمسك الطبيب بذراع بوارو وقال :
- هذه نافذة للقبو الذي كانت اليانور تقطع فيه السندويش .
ومن هنا كان في وسع أي أنسان أن يراها . فلنبحث لعل الذي وقف هنا
كان يدخن .

وانحنى يفحص الأرض ويدفع الأوراق الأغصان جانباً . .
ثم انتصب قائلاً :

- ها هي علبة ثقاب يا صديقي . فارغة يا لله انها صناعة أجنبية . علبة

(٨) المتهمة البريئة

المانية وماري جيرارد قد عادت حديثاً من ألمانيا !

ومضيا إلى المنزل حيث فتح الطبيب الباب الخلفي بالمفتاح وقاد زميله إلى المطبخ ثم إلى ممر يفضي إلى القبو وهناك راحا يتطلعان إلى « الدولاب » والأدوات الخزفية والزجاجية وإلى موقد الغاز وآنية الشاي والقهوة على الرفوف وإلى الحوض وإلى المنضدة التي أمام النافذة ، وقال الدكتور لورد :
- على هذه المنضدة كانت البيانور تقطع السندويتش وتحت الحوض وجدت قصاصة من البطاقة التي كانت حول انبوبة المورفين ، ولا شك ان أحداً كان يرقب الفتاة من الخارج فلها مضت إلى الكوخ تسأل وفتح الأنبوبة وسحق بعض المورفين ووضعها على بعض السندوتشات دون أن يلاحظ انه قطع جزءاً من البطاقة وانها سقطت بعيداً تحت الحوض وسرعان ما عاد إلى سيارته التي تركها في الخارج .

- تعال فنقب قليلاً في انحاء المنزل .

واخيراً وقفنا في الغرفة التي ماتت فيها ماري جيرارد بعد أن فتح الطبيب إحدى نوافذها ثم قال : يخيل إليّ اننا في قبر .

- لو تستطيع الجدران أن تتكلم لقصت علينا كيف بدأت المأساة في هذا المنزل . تعال بنا إلى الكوخ .

ووجد في الكوخ غرفة مرتبة تعلوها الأتربة ولم يمكث فيها غير دقائق أسرعنا بعدها إلى الخارج حيث رأى بوارو يتحسس أوراق الورود النامية على الحاجز الخارجي ثم قال :

- لقد حدثتني البيانور عن طفولتها حين كانت تلعب هنا مع رودريك ويلمان ويختلفان أحياناً بسبب تعلقها بالورود الحمراء وشغفه هو بالورود البيضاء وهذا الفارق هو ما بينها فعلاً .

- ماذا تعني ؟

- هذا يوضح أخلاق البيانور وحبها الجارف لشخص لا يقوى على مبادلتها

الحب . لنعد الآن يا صديقي الى الدغل الذي خلف القبو
وهنا قال : لا يبعد أن تكون ماري جيرارد قد عرفت رجلاً في المانيا
تبعها إلى هنا وقد عقد العزم على قتلها . ولكن انظر يا صديقي انظر بعيني
رأسك ما دمت لا تستطيع الرؤية بعين البصيرة اماذا ترى من هنا بالورد ؟
نافذة . يجوارها فتاة تقطع سندوتشاً ولكن كيف عرف الرجل ان هذا
السندوتش سيقدم إلى ماري جيرارد ؟ ان الياور وحدها هي التي كانت
تعرف ذلك .

- إذن كان الرجل يريد قتل الياور نفسها ؟
- هذا أقرب إلى العقل والصواب يا عزيزي .
ولما طرق بوارو باب الممرضة هوبكنز ففتحته ووجهها مغطى بالصابون
ثم قالت بحدة :

- حسناً يا مسيو بوارو ! ماذا تريد الآن ؟

- هل لي أن أدخل ؟

فغمغمت حانقة : تفضل .

ثم قدمت له قدحاً من الشاي الأسود كالخبز وهي تقول :

- هذا شاي جميل جداً .

فمضى يحركه في حذر ثم استجمع شجاعته ورشف منه رشفة وقال :

- هل خمنت لماذا جئت الآن ؟

- وهل قالوا لك انني قارئة أفكار ؟

- لقد جئت أطلب اليك أن تصارحيني بالحقيقة .

فنهضت نائرة غاضبة وصاحت :

- أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب ! ولقد تحدثت عن أنبوسة

المورفين صراحة ، ولو كانت غيري في مكاني لأغلقت فمها واسدلت على ذلك
ستاراً كثيفاً ولكني لم اعتد الكذب ولم أخف شيئاً أعرفه عن موت مساري

جيرارد ، ومستعدة لحلف أغلظ الايمان في المحكمة .
ولم يحاول بوارو أن يقاطعها لأنه كان يعرف كيف يسوس المرأة إذا
تملكها الحنق وأخيراً قال في هدوء أنا لم أقل انك أخفيت شيئاً عن الجريمة
ولكنني فقط طلبت اليك أن تحدثيني بالحقيقة . لا عن موت ماري جيرارد ،
بل عن حياتها .

— ولكن . أي دخل لهذا في الجريمة ؟
— أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب ! ولقد تحدثت عن المعلومات
عن حياتها ، ثم من أدرانا أن يكون لذلك دخل ، من بعيد او قريب في مصرعها؟
لا أدري بالضبط ماذا تعني .

— سأعاودك ، لقد تحدثت مع الممرضة أوبريان ومسز سلاتري التي تذكر
جيداً ما حدث منذ عشرين عاماً فعلمت أن حباً نشأ بين مسز ويلمان التي
كانت إذ ذاك أرملة وبين السير لويس رايكروفت الذي كانت زوجته نزيهة
مستشفى الأمراض العقلية ، وكان القانون في ذلك الوقت يمنعه من أن يتزوج
مرة اخرى ما دامت زوجته على قيد الحياة كما كانت قوى زوجته البدنية
وحالتها الصحية العامة ترجح إنها قد تعيش الى سن التسعين ، ولهذا ظل المحبان
على صلة قوية اخفياها عن الكثيرين ثم مات الرجل في الحرب .

— ثم ماذا ؟
-- ثم أنجبت علاقتهما طفلة هي ماري جيرارد .
— ولماذا تسألني ما دمت تعرف كل شيء ؟
— برجاء ان اجد عندك الدليل القاطع على ما كنت أخمنه .

فأخلدت الممرضة دقيقتين إلى الصمت زوى في أثنائهما ما بين حاجبيها ثم
نهضت فجأة الى درج أخرجت منه ظرفاً قدمته إلى بوارو قائلة : سأخبرك
كيف وقع بين يدي . فقد ثارت شكوكي عندما وجدت العجوز تغسق على
الفتاة عطفاً غير عادي ، ثم سمعت جيرارد في مرضه يهنئ ويقول ان ماري

ليست ابنته ، فلما ماتت الفتاة وذهبت إلى الكوخ لإخلائه عثرت في درج على الخطاب بين أوراق الكهل ورأيتني مدفوعة إلى قراءته .

وقرأ بوارو على الظرف : « الى ماري - يسلم اليها بعد موتي » .
ورأى الخبر باهتاً فقال : هذه الكتابة ليست حديثة .

فأجابته الممرضة . ليس جيرارد كاتبة ولكن زوجته التي ماتت منذ أربعة عشر عاماً ويبدو أن جيرارد حفظه بين أوراقه ثم نسيه أو لم يعن بإعطائه للفتاة بعد موت أمها فلم تقرأه لحسن حفظها وإلا ما استطاعت أن تظلم مرفوعة الرأس الى أن توفيت

وسكنت لحظة ثم استرسلت تقول : لقد كان الظرف مغلقاً ولكنني سمحت لنفسي بفتحه وتلاوة الخطاب الذي بداخله اعتماداً على ان أبطال القصة قد ماتوا جميعاً يحسن أن تقرأه بنفسك يا مسيو بوارو .

وقرأ بوارو ما جاء في ذلك الخطاب :

« هذه هي الحقيقة اكتبها لعل الحاجة يوماً الى معرفتها. لقد كنت وصيفة مسز ويلمان في هنتربري ونعمت بعطفها وحنانها سنوات وقد حدث ان تورطت في محنة تهدد سمعتي وشرفي فوقفت مسز ويلمان إلى جانبي والحقتني بخدمتها ولكن طفلي مات بعد ايام . وفي تلك الأثناء كانت سيدتي تحب السير لويس رايكروفت وكان بدوره يحبها الى درجة العبادة ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يتزوجها لأن له زوجة في م. تشفى الأمراض العقلية . ولما شعرت سيدتي بالجنين ينمو في أحشائها أخذتني معها إلى اسكتلندا حيث أنجبت طفلتها وحدث ان كتب الي جيرارد وهو الرجل الذي غرر بي ليكفر عن اساءته فكان ان عدت اليه وتزوجته وانفقنا على أن نعيش في الكوخ قريباً من مسز ويلمان وأن يعتبر (ماري) ابنته وأن ترعاها والدتها مسز ويلمان وترعانا بخيرها وكرمها . وهكذا جهلت ماري الحقيقة المرة وأمسكت لساني عن ذكر القصة لأي إنسان ولكنني أرى من واجبي قبل ان أموت ان اسجل

كتابة حقيقة ما حدث » .

الامضاء : اليزا رايلي

وتنهى بوارو ثم طوى الخطاب فقالت الممرضة في قلق :
- والآن ماذا تنوي ان تعمل ؟ لقد مات أبطال القصة جميعاً كما ترى ولا
فائدة من نبش قبورهم خصوصاً وقد كان الناس يرمون مسز ويلمان بالإجلال
والاحترام ومن القسوة جر اسمها الآن في الأوحال والأقذار وكذلك كانت ماري
فتاة دمثة طيبة ولا يجدر ان يعلم الناس انها كانت ابنة سفاح ، دع بالله عليك
الموتى هادئين سالمين في قبورهم .

- أخشى ان يكون لهذا الوضع دخل في الجريمة .

- لا أظن .. لا أظن .

ثم خرج بوارو من الكوخ والمرأة مشدوهة تحملق فيه في قلق وحيرة وما
ان سارا قليلاً حتى أحس بوقع اقدام مترددة تتبعه . ولما التفت وراءه رأى
البستاني هرليك بادي الارتباك يعتمر قبعته بين يديه فسأله :

- ماذا يا هرليك ؟

- هل أستطيع ان أفضي اليك بكلمة يا سيدي .

- طبعاً .. طبعاً .

- إن السيارة التي كانت خارج البوابة الخلفية في صباح ذلك اليوم كانت
سيارة الدكتور لورد .

- أواثق انت من هذا ؟

- كل الثقة يا سيدي لأنني أعرفها جيداً واحفظ رقمها وهو ٢٠٢٢ .

- ولكن الدكتور ينفي ذلك ويقول انه كان في ويزنبري في ذلك الصباح .

- أقسم لك ان تلك السيارة كانت سيارته .

- شكراً يا هرليك .

الفصل الثالث عشر

لم تدر اليانور هل كان الطقس شديد الحرارة او البرودة لأنها كانت جالسة في قفص الاتهام ذاهلة العقل شاردة اللب زائفة العينين هول ما ترى وتسمع . وكانت تحس بالرعدة تتمشى في اوصالها رغم العرق المنصبب من جبينها وهي تستمع إلى وكيل النيابة يعود إلى الماضي . من يوم تلقت الخطاب الغفل من الإمضاء الى يوم قابلها مفتش البوليس وقال لها
— لدي أمر بالقبض عليك يا مس اليانور كارليس بتهمة قتل ماري جيرارد بدس السم لها في ٢٧ يوليو الماضي . واحب ان انبهك الى ان كل كلمة تنطقين بها سوف تسجل عليك وتجاهين بها يوم المحاكمة .

والآن . . ها هي تجلس في قفص الاتهام تنتهبها الأنظار الحانقة الساخطة . وها هم المحلفون يتحششون النظر اليها كأنما يعلمون أي كلمة هائلة ستنطق بها السنتهم بعدما سمعوه من قوة الاتهام ونودي الدكتور لورد ليدي بشهادته فوقف بوجهه الذي يعلوه الاكتئاب ليصيب في نغمة رتيبة ويقول انه دعي تليفونيا الى هنتربري بعد أن فات الأوان فوجد ماري جيرارد تلفظ انفاسها الأخيرة ثم ما لبثت ان ماتت بعد بضع دقائق وكان موتها بتأثير المورفين .
وحينئذ وقف المحامي السير أوين بالمر وقال :

– لقد ترددت على هنتربري مرات في يوليو الماضي وقابلت المتهمه وماري جيرارد معاً فكيف كان سلوك المتهمه نحو القتيلة ؟

– غاية في الود والائتلاف .

فابتسم السير ادوين ابتسامه يشوبها الاستخفاف وعاد يسأله :

-- ألم تلاحظ اي دليل على الكراهية أو الغيرة بين الاثنتين مما تلوكه

الألسن ؟

– كلا .. اطلاقاً .

وتبينت اليانور مبلغ الكذب المتعمد في الأقوال التي ادلى بها الطبيب الشرعي حين اسهب في شهادته وذكر نوع السم الذي ماتت به ماري جيرارد وكيف تبدو اعراضه على الضحية قبل وبعد ان تعالجه منيته .

وفي اليوم التالي عقدت المحاكمة مرة اخرى ونودي اخصائي التحليل فتحدث عن محتويات معدة القتيلة وكيف امتزج المورفين بالخبز والسمك والشاي وتدل كميته على انها لا تقل عن أربع فصحاح تكفي لقتل اكثر من اربعة اشخاص ، واذ ذاك سأله السير ادوين : لقد وجدت في معدة القتيل خبزاً وزبداً وسمكاً وشايًا ومورفينًا فهلا وجدت شيئاً آخر ؟

– كلا . ويجوز ايضاً ان يكون المورفين قد ابتلع وحده ثم اختلط في

المعدة بمحتوياتها الأخرى .

– ولكن وجوده يقطع بأنه اخذ في نفس الوقت مع الطعام الآخر

والشاي واللبن !

– هو ذلك يا سيدي .

– شكراً ..

ثم نودي المفتش بريل وبعد أن حلف اليمين قال : دعيت إلى المنزل ، ولما توليت البحث عثرت على قصاصة صغيرة تحت الحوض أدركت أنها نزعيت عن أنبوبة المورفين أعني من البطاقة التي حولها ..

وتناول المحلفون القصاصة وتفرسوا فيما كتب عليها . « مورفين . نصف
قمحة .. »

ونهب محامي الدفاع يسأل الشاهد : وهل عثرت على بقية البطاقة ؟
- كلا ..

- هل عثرت على أنبوبة من الزجاج أو أي قارورة كانت تلك البطاقة
مثبتة عليها ؟
- كلا ..

- في أي حالة كانت تلك القصاصة عندما عثرت عليها ؟
- كانت نظيفة إلا من بعض الغبار الذي لحق بها من القائها على الأرض منذ
وقت قصير ..

ونوديت الممرضة هوبكنز فوقففت بادية الاعتداد بنفسها غير هيابة أو وجلة
ثم قالت : إسمي جيسي هوبكنز وأقيم في كوخ في هنتبري .
- هل أنت ممرضة المنطقة ؟
- نعم .

- أين كنت في ٢٨ يوليو الماضي ؟
- في منزل مسز ويلمان إذ أصابتها نوبة من الشلل فدعيت لمساعدة الممرضة
أوبريان إلى أن يجدوا ممرضة أخرى مقيمة ؟
- هل حملت معك حقيبة صغيرة ؟ وماذا كان بها ؟
- كان بها أربطة وضمادات ومحقن تحت الجلد وبعض الأدوية والعقاقير
وأنبوبة من هيدرو كلوريد المورفين .

- ولماذا كنت تحتفظين بهذه الأنبوبة ؟
- لمعالجة إحدى المريضات في القرية باعطائها حقنة في الصباح وأخرى في
المساء .

- وماذا كانت تحوي ؟

– عشرين قرصاً يحتوي كل منها على نصف قمحة من هيدو كلوريد

المورفين ..

– وماذا فعلت بحقيبتك ؟

– وضعتها في الردهة .

– كان ذلك في مساء ٢٨ يوليو فمتى أتيت لك مشاهدتها مرة أخرى ؟

– في الصباح التالي حوالي الساعة التاسعة عندما كنت أهم بمغادرة المنزل .

– هل وجدت شيئاً من محتوياتها مفقوداً ؟

– نعم .. أنبوبة المورفين .

– أذكرت ذلك لأحد ؟

– تحدثت عن فقدانها إلى الممرضة أوبريان التي كانت ترعى المريضة .

– هل وضعت الحقيبة في ردهة يذرعها الناس جيئة وذهاباً ؟

– نعم ..

– هل كنت تعرفين الفتاة الميتة – ماري جيرارد – معرفة جيدة ؟

– نعم .

– وما كان رأيك فيها ؟

– كانت فتاة طيبة ظريفة حلوة الشمائل .

– هل كانت سعيدة في حياتها ؟

– ومشرقة كالورد المتفتحة .

– ألم تهما شواغل تعرفينها ؟

– كلا .. إطلاقاً .

– هل كانت وقت موتها تشعر بتعاسة أو ابتئاس أو تخشى مستقبل أيامها

– كلا لا شيء من هذا القبيل .

– هل كان لديها من الأسباب ما يدفعها إلى الانتحار ؟

– كلا .. كلا .. قلت أنها كانت سعيدة مشرقة ثم راحت تروي كيف

رافقتها إلى الكوخ وتحدثت عن قدوم اليانور ودعوتهما لهما إلى تناول السنديويتش وكيف قدمت الصحيفة إلى ماري ثم كيف اقترحت غسل كل شيء حتى علبة السمك المحفوظ وكيف اقترحت كذلك على المريضة هوبكنز أن تصعد معها لتساعدتها في فرز الملابس .

وقد قاطعها السير أدوين مراراً أثناء هذه الرواية بينما قالت اليانور لنفسها : هذا كله حقيقي . هذا هو الواقع وإن كان مخيفاً !

وتطلعت مرة أخرى عبر القاعة فشاهدت بوارو يتأملها وهو غائص في يمين التفكير وقد تبددت آيات الرثاء والاشفاق عن أساريره .

وامتدت يد وكيل النيابة إلى الشاهدة بقصاصة الورق ثم سألها :

– أتعرفين ما هذه ؟

– هذه قطعة من بطاقة .. بطاقة أنبوية تحتوي على أقراص المورفين .

كالأنبوية التي فقدت من حقيقتي .

– أواثقة أنت من ذلك !

– كل الثقة . هذه منزوعة من أنبويتي .

فقال القاضي .

– كل ما تستطعين قوله أنها تشبه البطاقة التي كانت على أنبويتك لا أنها

نفس البطاقة

– هذا ما أعنيه يا سيدي .

وارجئت المحاكمة إلى اليوم التالي . وبدأ السير أدوين في استجواب المريضة

فسألها في حدة :

– هذه الحقيبة التي سمعنا عنها الكثير ، هل تركتها في ٢٨ يوليو في

الردهة الكبيرة !

فأجابته المريضة هوبكنز : نعم .

– ولكن هذا اهمال شنيع !!

- هو ذلك للأسف .
- أهى عادتك دائماً ان تتركى العقاقير الخطرة حيث يستطيع اي إنسان ان يحصل عليها ؟
- كلا بالطبع يا سيدي .
- ولكنك فعلت ذلك فى تلك الليلة فكان فى وسع اي انسان بالمنزل ان يحصل على المورفين متى اراد ؟
- اظن ذلك .
- لا أظن هناك .. بل هو الذى حدث !
- نعم .. كان بي وسع واحد من الخدم ان يأخذه .. كما كان ذلك فى مقدور الطبيب ومستر رودريك ويلمان والممرضه اوبريان وماري جيرارد نفسها .
- هل فطن احد الى انك تحملين المورفين فى حقيبتك ؟
- لا اعلم ..
- الم تتحدثي عن ذلك الى أحد !
- كلا ..
- إذن فلم تكن مس اليانور تعلم ان بحقيبتك مورفيناً ؟
- إلا اذا كانت فتحتها ونظرت الى ما فيها .
- هل ترين ان من المحتمل حدوث ذلك ؟
- لا أدري ..
- وماري جيرارد .. أكانت تعلم بوجود المورفين ؟
- كلا .. اطلاقاً
- ولكنها تتردد على كوخك .
- ليس كثيراً ..
- إن ترددها على كوخك . يتيح لها ان تعرف ما تضعينه فى

حقيبتك ..

- لا أظن يا سيدي . لا أعتقد انها كانت تعام بوجود المورفين في الحقيبة .

- ألم تقولي في الصباح لزميلتك المريضة أوبريان انك تركت الأنبوبة في منزلك وانك سوف تعودين من أجلها ؟

- كلا لم يحدث هذا ؟

- ألم تقولي انك تركت الأنبوبة على الموقد في كوخك ؟

- كان ذلك مجرد تخمين عندما لم أجدها في الحقيبة .

- وكيف يتفق التخمين مع تأكيدك انها كانت في الحقيبة أثناء وجودها بردهة هنتربري ؟

- لأنني عدت فتذكرت اني وضعت في الحقيبة .

- الواقع انك امرأة شديدة الاهمال !

- هذا ليس صحيحاً .

- هل المحت الى وخز وردة برسفك في ٢٧ يوليو .. يوم توفيت ماري جيرارد ؟

- لا أرى دخلاً لذلك فيما نحن فيه !

وتدخل القاضي: هل تصر على سؤالك يا أدوين ؟

فأجاب هذا :

- نعم لأن له دخلاً كبيراً في مهمة الدفاع ولأن في نيتي دعوة شم-ود لإثبات أن هذا الخبز كان اكدوبة .

ثم استطرد يقول للشاهدة :

-- أما زلت تقولين بأن شوكة ورد قد وخزت رسفك في ٢٧ يوليو ؟

- نعم .. نعم ..

وتجلى التحدي في عيني المريضة ولكن محامي المتهم عاد يسألها :

- متى حدث ذلك ؟
- قبل مغادرتي الكوخ في طريقني الى المنزل في صبيحة ٢٧ يوليو
- أي نوع من أشجار الورد كانت تلك الشجرة ؟
- من النوع المتسلق النامي خارج الكوخ .
- أواثقة انت من ذلك ؟
- كل الثقة ..
- فصمت السير أدوين لحظة ثم سأها :
- أما زلت مصرّة على أن المورفين كان في حقيبتك عندما قدمت إلى هنتبري في ٢٨ يوليو ؟
- نعم .. كانت الأنبوبة في حقيبتي حينذاك .
- وماذا لو اقسمت الممرضة أوبريان انك رجحت تركها في منزلك ؟
- هذا لا يمنع من انني واثقة من ان الأنبوبة كانت في حقيبتي .
- ألم يساورك القلق عندما اكتشفت فقدانها ؟
- كلا .
- رغم علمك بأن فقدانها يعني فقد كمية كبيرة من العقاقير الخطرة ؟
- لم يدر بخاطري آنذاك ان انساناً اخذها .
- ولماذا لم تبلغني رسمياً عن فقدانها ؟
- لأنني لم أتوجس خيفة لفقدانها كما قلت .
- وتضرجت وجنتهاها عندما عاد يقول :
- هذا اهمال إجرامي من جانبك يدل على انك لا تقدرين التبعات .
- هل حدث في ٦ يوليو ان كتبت ماري جيرارد وصيتها ؟
- نعم ضناً منها ان هذا ما توجبه الحكمة .
- ألم يكن ذلك بسبب شعورها بالضيق او القلق على مستقبلها ؟

- هراء .
- أتعلمين شيئاً عما تمتلكه الفتاة ، ويصح أن يرثه الغير عنها ؟
- لم تكن تملك شيئاً على الاطلاق إذ ذاك ، ولكنها كانت توشك ان تحصل على الفي جنبيه من مس الينانور
- بطريق الإكراه ام كرماً من مس الينانور .
- كرماً منها وبمطلق حريتها .
- وكيف يتأتى هذا مع كراهيتها لماري
- لا أدري ..
- ألم تسمعي ثرثرة أو شائعات عن العلاقة بين ماري جيرارد ومستر رودريك ويلمان .
- لقد كان معجباً بها مفتوناً بجمالها .
- هل لديك دليل على ذلك .
- كلا .. فقد لاحظت ذلك
- أخشى الا يقنع المحلفون بأنك لاحظت ذلك ، الم تقولي مرة ان ماري كانت تعلم انه خطيب الينانور وانها صارحته بذلك في لندن .
- هذا ما قالته لي
- وهنا تدخل وكيل النيابة ليسألها :
- عندما كانت ماري جيرارد تتحدث اليك عن وصيتها هل حدث ان اطلت المتهمه من النافذة ؟
- نعم فعلت ذلك
- وماذا قالت ؟
- قالت : « هذا مضحك ! هذا عجيب » ثم ضجعت بالضحك مرات وفي اعتقادي انها منذ تلك اللحظة خامرتها فكرة التخلص من ماري وقررت في نفسها قتلها .

- فصاح القاضي محتدأ : الزمي الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليك فلسنا في حاجة الى سماع ما تعتقدن ! ارجو حذف الجزء الأخير من جوابها .
- وقالت اليانور لنفسها يا للمعجب أريد حذف ما هو حقيقي ؟
- ثم ودت لو تستطيع الضحك عالياً .
- وجاء دور الممرضة اوبريان فاقسمت اليمين وسئلت :
- هل افضت اليك الممرضة هوبكنز بشيء في صبيحة يوم ٢٩ يوليو ؟
- فأجابت : نعم حدثتني عن اختفاء انبوبة مورفين كانت في حقيبتهم ، وقد ساعدتها في البحث عنها بلا فائدة .
- هل تركت الحقيبة طوال الليل في الردهة ؟
- نعم ..
- أكان مستر ويلمان والمتهمة يقيمان في المنزل عندما ماتت مسز ويلمان
- أي من ٢٨ يوليو إلى ٢٩ منه
- نعم .
- هل لك ان تقصي علينا حادثاً وقع في ٢٩ يوليو .. اي في اليوم التالي لوفاة مسز ويلمان ؟
- شاهدت مستر رودريك يحدث ماري جيرارد عن حبه ورأيته يحاول تقبيلها رغم انه كان خطيباً لمس اليانور .
- وماذا حدث بعد ذلك .
- طلبت اليه ماري ان ينجل من نفسه وهو خطيب لاليانور .
- ما رأيك الخاص في شعور المتهمة نحو ماري جيرارد !
- كانت تكررهما وتم نظراتها عن الرغبة في كتم انفاسها
- هل حدث ان قالت لك الممرضة هوبكنز انها ربما تركت انبوبة المورفين في منزلها ؟
- نعم قالت ذلك .

- اكانت بادية القلق من جراء اختفاء الانبوية .
 - كلا .. لأنها لم يخامرها ظن في ان يكون انسان ما قد اخذها ؟
 - ألم يحدث اي شجار بين المتهمه وماري جيرارد ؟
 - كلا لا شيء من هذا قط
 - هل انت ايرلندية ؟
 - نعم .. وماذا في ذلك !
 - لا شيء سوى ان الايرلنديين مشهورون بسعة الخيال .
 - ثق ان كل ما قلته هو الواقع بلا زيادة او نقصان .
- ووقف البدال يدلي بشهادته القصيرة في تعثر وارتباك ويؤيد ما قالته
المتهمه عن حوادث التسمم بالسّمك .

الفصل الرابع عشر

وبدأ الدفاع خطابه قائلاً :

« سادتي المحلفون :

يحق لي أن أقول أن لا وجه لإقامة الدعوى على المتهم ولا شك عندي أنكم لا تجدون ما يدعو إلى إتهامها . يقول الاتهام ان اليانور كارلسيل حصلت على المورفين لتسهم ماري جيرارد مع أن هذه التهمة نفسها يمكن أن توجه بنفس السهولة الى جميع من كانوا بالمنزل في ذلك الوقت وأتيحت لهم نفس الفرصة وقد اعتمد الاتهام على هذه الفرصة وحدها ثم حاول البحث عن الدافع حيث لا دافع على الاطلاق . أما فصم الخطوبة بين اليانور ورودريك ويلمان فليس سبباً لارتكاب جريمة قتل وإلا لسمعنا في كل يوم عن حوادث قتل متعددة من هذا القبيل .

ثم أرجو ان تلاحظوا ان هذه الخطوبة لم تكن وليدة حب جارف بل خطوبة ولدتها العلاقة العائلية وحدها وترعرع الاثنان معاً . . وكذلك أرجو أن تلاحظوا ان فصم الخطوبة لم يجيء من الخطيب وإنما من المتهم ، وفي وسعي ان أوكد لكم ان هذه الخطوبة ما كانت لتتم إلا رغبة في ارضاء المعجوز مسز

ويلمان . فلما ماتت تحقق الخطيبان من ان شعورهما ليس من القوة والتبادل بحيث يبرر زواجهما فانفصمت الخطوبة .

« هذا وقد شاء كرم اليانور ودماثة خلقها ورقة طبعها ان تهب ماري جيرارد مبلغاً كبيراً من المال الذي ورثته . ثم نأتي الآن ونتهمها بقتلها فهل بعد ذلك تناقض ؟

« ان كل ما يؤخذ على اليانور الظروف التي تمت فيها واقعة التسمم دون أن ينهض دليل واحد على ادانتها بتلك الجريمة المروعة .

« لقد نهض ممثل الاتهام فقال : ما كان في وسع أحد غير اليانور كاليسل ان يقتل ماري جيرارد . »

« ولما طلب اليه إيجاد الدافع لم يستطع لأنه لا دافع لدى اليانور إلى ذلك على الاطلاق . ثم لماذا نقطع بقتل الفتاة ومن الجائز أن تكون قد انتحرت ؟ ولماذا لا يكون هناك من دس السم في السنديويتش عندما كانت اليانور في الكوخ ! ولماذا لا نبحث عن شخص ثالث أتيجت له نفس الفرص وكان المورفين في حيازته ولديه الدافع الكافي لقتل ضحيته ؟ سوف أدعـو لكم من الشهود من يؤيد هذا ولكنني سأطلب اولاً الى المتهم ان تروي لكم قصتها بنفسها لتروا بأنفسكم على اي أساس واه اقام الاتهام دعواه . »

ومضت اليانور تقسم اليمين وتجيب عن أسئلة السير أدوين في صوت خافت بينما انحنى القاضي الى الأمام وطلب اليها ان ترفع صوتها ، وكان صوت السير أدوين رقيقاً مشجعاً وهو يقول :

— هل كنت تحبين رودريك ويلمان ؟

— جداً فقد كان أشبه بأخ لي وابن عم .

-- هل توترت العلاقة بينكما قليلاً بعد موت عمك ؟

- نعم .

- لأي سبب ؟
- لشعور رودريك بأن الناس قد يرون في زواجنا صفقة تجارية من جانبه .
- ألم يكن لماري جيرارد دخل في فصح خطبتكما .
- أظن رودريك قد استهواه جمالها ولكنني لا اعتقد انه كان جاداً في سعيه وراءها .
- أكنت تتألمين لو كان جاداً في عواطفه نحوها ؟
- كلا .. إذ كنت اراها غير جديرة به .
- هل أخذت أنبوبة مورفين من حقيبة المريضة هوبكنز في ٢٨ يوليو
- كلا .. ابداً
- هل كنت تعلمين أن العممة لم تكتب وصية من قبل ؟
- كلا ولذلك دهشت عندما فوجئت بأنها تطلب محاميتها لتكتب وصيتها .
- ولماذا فكرت في منح ماري جيرارد الفي جنيه من ميراثك .
- لأن عمتي عاجلها الموت قبل ان تستطيع كتابة وصيتها ولو فعلت لكتبت شيئاً لهذه الفتاة لأنها كانت تحبها وكانت شديدة القلق في ليلة موتها لأنها لم تكتب لها شيئاً من قبل ولهذا وجدتني مسؤولة عن ضمان مستقبل الفتاة ومطالبة برد جميلها ومكافأتها على ما أظهرته لعمتي من العطف والرعاية والحنان .
- هل قدمت من لندن في ٢٦ يوليو ونزلت في فندق كنجز آرمز ؟
- نعم .
- وماذا كان غرضك من الذهاب الى هنتربري ؟
- تلقيت عرضاً بشأن المنزل والرجل الذي اشتراه اراد ان ينتقل اليه في أسرع وقت ممكن فكان علي ان أفرز ممتلكات عمتي الشخصية وأن ارتب الأمور عامة .
- هل اشتريت بعض المأكولات وانت في طريقك الى المنزل يوم ٢٧ من يوليو ؟

- نعم ظننت أنه من الأسهل شراء غذاء جاهز لأتناوله هناك بدلاً من العودة الى القرية .
- هل ذهبت بعد ذلك إلى المنزل وهل قمت بفحص حاجات عمّتك الشخصية ؟ .
- نعم فعلت .
- وبعد ذلك ؟
- نزلت إلى المطبخ وأعددت بعض الشطائر « السندويتشات » ثم ذهبت إلى الكوخ الملاحق بالمنزل ودعوت الممرضة وماري جيرارد للحضور إلى المنزل - لماذا فعلت ذلك ؟ .
- أردت أن أجنبها مشقة السير في الحر للذهاب إلى القرية ثم العودة مرة أخرى .
- إذن كان عمّلك طبيعياً ويدل على الطيبة من ناحيتك وهل قبلنا الدعوة ؟ .
- نعم وسارتا معي إلى المنزل .
- أين كانت « السندويتشات » التي أعددتها ؟ .
- تركتها في المطبخ على طبق .
- هل كانت النافذة مفتوحة ؟ .
- نعم .
- هل كان بإمكان أي شخص الدخول إلى المطبخ في أثناء غيابك ؟ .
- طبعاً .
- إذا كان هناك شخص يقوم بمراقبتك من الخارج أثناء اعدادك «السندويتشات» فماذا كان يدور بخلدك؟
- أعتقد أنه كان يظن أنني أعد غذاء خفيفاً مثل الذي يعد للرحلات .
- ما كان ليعلم إذن أن أحداً سيشاطرك الغذاء ؟ .
- لا . لأن فكرة دعوة الأثنتين لم تخطر لي الا عندما رأيت كمية الطعام

التي عندي .

- إذن فانه إذا كان أحد قد دخل المنزل أثناء غيابك ووضع المورفين في أحد « السندويتشات » فان المقصود بذلك هو « تسميمك » أنت ؟ ..

- أظن ذلك .

- ما الذي حدث عندما وصلتكم جميعاً إلى المنزل ؟ .

- ذهبنا إلى غرفة الجلوس وأحضرت « السندويتشات » وقدمتها للاثنتين .

- هل شربت معها شيئاً ؟ .

- شربت ماء وكأنت هناك بيرة على المائدة ولكن المريضة هوبكنز وماري

فضلتا الشاي وذهبت المريضة هوبكنز إلى المطبخ واعدته وأحضرته على صحيفة وقامت ماري بصبه .

- هل شربت منه شيئاً ؟ .

- لا .

- ولكن المريضة هوبكنز وماري شربتا شاياً ؟ .

- نعم .

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- ذهبت المريضة هوبكنز وأطفأت موقد الغاز .

- وتركتك وحدك مع ماري جيرارد ؟

- نعم ..

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- بعد دقائق قليلة رفعت الصحيفة وطبق « السندويتشات » وحملتها إلى

المطبخ وكانت المريضة هوبكنز هناك وقمنا نحن الاثنتين بغسل الصحاف والاقداح .

- هل كانت أكمام المريضة هوبكنز مرفوعة في ذلك الوقت ؟ .

- نعم لأنها كانت تغسل الأوعية هلى حين كنت أنا أقوم بتجفيفها .

– هل أدليت لها بملاحظة معينة عن خدش في رسغها ؟ .
– سألتها إذا كانت قد وخزت نفسها .
– وماذا كان جوابها ؟ .
– قالت « أنها شوكة من شجرة الورد التي في خارج الكوخ وسأخرجها
حالا » .

– ماذا كانت عليه تصرفاتها في ذلك الوقت ؟ .
– أظن أنها كانت متأثرة بالحرارة إذ كانت غارقة في المرق وكان وجهها
شديد الشحوب .

– ما الذي حدث بعد ذلك ؟ .
– ذهبنا إلى أعلى وساعدتني في الأشياء الخاصة بعمتي .
– ومتى نزلتما فيه إلى « الطابق » الأرضي مرة أخرى ؟ .
– بعد حوالي ساعة .

– أين كانت ماري جيرارد وقتئذ ؟
– كانت جالسة في غرفة الجلوس وكانت تتنفس بصعوبة وهي في غيبوبة
فطلبت الدكتور تليفونيا بناء على تعليمات الممرضة هوبكنز ووصل قبل أن
تموت بلحظات .

وهنا نصب سير أدوين قامته في حركة « دراماتيكية » وقال :
– مس كارليس . هل قتلت ماري جيرارد ؟ .
وبرأس مرتفع وعينان تنظران إليه في استقامة قالت :
– لا ..

وجاء دور سير صامويل اتنبري ممثل الادعاء فاذا بقلبها يخفق بشدة ..
الآن .. الآن ستكون تحت رحمة العدو . لن تكون هناك رقة . لن تكون
هناك أسئلة تعرف الاجابة عنها ..
ولكنه بدأ أسئلته رقيقاً قال .

- هل كنت مخطوبة وعلى أهبة الاقتران بمستر رودريك ويلمان كما قلت لنا ؟ .

- نعم .

- هل كنت مغرمة به ؟ .

- جداً .

- وأنا أقول أنك كنت هائمة بحب رودريك ويلمان وتفارين بشدة من حبه لماري جيرارد ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- اذك قررت باصرار ان تزيجي تلك الفتاة من طريقك على أمل أن يعود اليك رودريك ويلمان .

- طبعاً لا ..

وتتابعت الأسئلة . كانت كأنها في حلم .. حلم سيء . كابوس .. سؤال يليه سؤال .. أسئلة مؤلمة ومفزعة .. وكانت معدة من قبل للاجابة عن بعضها ولكن البعض الآخر كان مفاجأة لم تستعد لها ..

وكانت تحاول دائماً ان تتذكر « الدور » الذي عليها ان تؤديه والا تنسى ذلك مرة واحدة .. كأن تقول مثلاً :

- نعم .. لقد كنت اكرهها .. نعم .. لقد تمنيت لها الموت نعم طوال الوقت الذي كنت اعد فيه « السنديتشات » كنت افكر في موتها ..

وكان عليها دائماً أن تبقى متماسكة وان تكون إجاباتها مقتضبة وخالية من الانفعال على قدر الامكان ..

لقد انتهى الأمر الآن .. وهذا الرجل ذو الأنف اليهودي بدأ يجلس وها هو ذا صوت سير أدوين بلومر الرقيق العطوف يلقي عليها مرة اخرى قليلاً من الأسئلة ..

امثلة سهلة سارة الغرض منها ازالة الأثر السيء الذي تركته امثلة الادعاء

* * *

وها هو رودى يتقدم للدلاء بأقواله .. وقد ظهر عليه انه كاره للأمر كله .. وكأنه ليس هو حقاً . ولكن لا شيء حقيقي بعد .. فكل شيء بدبر بطريقة شيطانية .. فالأسود قد صار أبيض وما كان في القمة أصبح في الحضيض والشرق أصبح غرباً .. وأنا . أنا لست اليانور كارليس . لقد أصبحت « المتهمة » . وسواء شنقوني أو اخلو سبيلي فلن يعود اى شيء إلى ما كان عليه من قبل . لو كان هناك شيء .. شيء واحد معقول اتمسك به .. فربما يكون وجه بيتر لورد .

اين وصل سير ادوين الآن ؟

— هلا قلت لنا ماذا كانت عليه مشاعر مس كارليس نحوك ؟

وأجاب رودى بصوته الرقيق :

— أقول إنها كانت تميل إلى بشدة ولكنها بالتأكيد لم تكن تحبني عاطفياً .

— هل كنت راضياً عن خطيبتك ؟

— تماماً .. فنحن متوافقان في كثير من الأمور .

— هلا ذكرت للمحلفين يا ميستر ويلمان لماذا فسخت الخطبة ؟

— حسناً .. بعد موت مسز ويلمان أظن اننا أصبنا بصدمة وأنا لم أعجب

بفكرة الزواج بامرأة غنية في الوقت الذي لا أملك فيه شيئاً .. وفي الواقع

ان الخطبة قد الغيت بناء على اتفاق متبادل .. ولقد شعر كلانا بضرورة

الخلاص .

— والآن هلا ذكرت لنا بالضبط ماذا كانت عليه علاقتك بباري جيرارد؟

(أوه .. رودى .. رودى المسكين .. لا بد انك كاره لكل هذا ..)

— ظننت انها جميلة جداً

- هل كنت تحبها ؟
- قليلاً ..
- متى كان آخر مرة رأيتها فيها ؟
- دعني اتذكر .. لا بد ان ذلك كان اما يوم ٥ او يوم ٦ من يوليو
- فقال سير ادوين وفي صوته نبرة فولاذية :
- اظن انك رأيتها بعد ذلك .
- لا .. لقد ذهبت إلى الخارج .. إلى البنديقية ودالماسيا ..
- متى عدت إلى إنجلترا ؟
- عندما تسلمت برقية .. دعني اتذكر .. في اليوم الأول من اغسطس .
- ولكنني أظن انك كنت في إنجلترا يوم ٢٧ من يوليو .
- لا ..
- تذكر انك قد اقسمت اليمين يا مستر ويلمان . الا يدل جواز سفرك
- على انك عدت الى إنجلترا يوم ٢٥ من يوليو وغادرتها مرة أخرى ليلة ٢٧ من
- يوليو ؟
- وكان في صوت سير ادوين نبرة تهديد .. وقطبت اليانور جبينها وقد
- عادت إلى الواقع فجأة . لماذا يقوم الدفاع بمهاجمة الشاهد الذي يستند اليه ؟
- وكان وجه رودى قد شحب . وقد ران عليه الصمت دقيقة أو دقيقتين
- .. ثم قال في صعوبة .
- حسناً .. نعم .. هذا هو الواقع .
- هل ذهبت لرؤية تلك الفتاة ماري جيرارد في لندن في مسكنها يوم ٢٥
- من يوليو ؟
- نعم . فعلت .
- هل طلبت منها ان تتزوجك ؟
- نعم .

- ماذا كان جوابها ؟
- رفضت .
- أنت لست غنياً يا مستر ويلمان ؟
- لا ..
- وأنت مدين بمبالغ كبيرة ؟
- وما دخلك أنت ؟
- ألم تكن علي علم بأن مس كارليس قد تركت لك كل أموالها في حالة موتها ؟
- هذه أول مرة اسمع فيها ذلك .
- هل كنت في ميدنز فورد في صباح يوم ٢٧ من يوليو ؟
- لم أكن .
- وجلس سير أدوين .
- فقام بمثل الادعاء ليسأل :
- تقول انك تظن ان المتهمة لم تكن تحبك بشدة ؟
- هذا ما قلته ..
- هل انت رجل شهم يا مستر ويلمان ؟
- لا أعرف ماذا تعني ؟
- إذا كانت هناك سيدة تحبك بشدة وانت لا تحبها فهل تشعر ان من واجبك ان تخفي الحقيقة ؟
- طبعاً لا .
- أين كانت دراستك يا مستر ويلمان ؟
- في أيتون .
- فقال سير صامويل بإبتسامة هادئة :
- هذا كل شيء .

* * *

- وتوالى الشهود .
 الفريد جيمس وارجريف .
 - هل تعمل في تربية الزهور وتسكن في امزورث ببركنز ؟
 - نعم .
 - هل ذهبت يوم ٢٠ من اكتوبر الى ميدنز فورد لتفحص شجرة ورد نامية
 خارج الكوخ الملحق بهنتبري .
 - فعلت .
 - هلا وصفت لنا تلك الشجرة ؟
 - انها من اشجار الورد المتسلقة وزهرتها قرمزية ذات رائحة جميلة وليس
 لها أشواك .
 - هل من المستحيل اذن أن يؤخذ المرء من شجرة ورد من ذلك النوع ؟
 - من المستحيل تماماً . . فانها شجرة غير ذات أشواك .
 لا اسئلة من الطرف الآخر .

* * *

- هل انت جيمس آرثر ليتلديل . . كيميائي مؤهل تعمل لدى تاجري
 الجملة الكيمائيين جنكز وهيل ؟
 - نعم . .
 - هل ذكرت لنا ما هذه القصاصة من الورق ؟
 وقدم له المستند .
 - إنها قصاصة من احدى بطاقتنا البطاقات التي نلصقها على أنابيب اقراص
 المورفين .
 - هل انت واثق من ذلك ؟
 - نعم انها من أنبوبة هيدروكلوريد أبومورفين .

- أليست بطاقة انبوبة هيدروكلوريد المورفين ؟
- لا .. لا يمكن أن تكون كذلك .
- لماذا ؟ .

- في الحالة الأخيرة يكتب حرف الميم في مورفين كبيراً ونهاية حرف الميم هنا كما آراه بالعدسة المكبرة بوضوح يدل على انه جزء من حرف ميم صغير وليس بكبير .

- أرجو ان تدعني اقدم القصاصة للمحلفين ليفحصوها بالعدسة المكبرة ..
وهل معك بطاقات نستشهد بها على ما قلت ؟
وقدمت البطاقات للمحلفين ليفحصوها ..

ثم تابع سير ادوين استجوابه :

- قلت ان تلك القصاصة من أنبوبة هيدروكلوريد آبومورفين ؟ ما هو بالضبط الهيدروكلوريد آبومورفين ؟
- إن رمزه الكيميائي هو : ك ١٧ يد ١٧ ز ٢ م وهو أحد مشتقات المورفين .

- وما هي خصائص الآبومورفين ؟

- انه أسرع وأقوى عقار للقيء عرف الآن تتأثيره يظهر بعد دقائق قليلة .
- إذن فانه إذا تناول شخص جرعة كبيرة من المورفين وأعطي حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فما الذي يحدث ؟

- يبدأ بالقيء فوراً ويطرد الجسم المورفين .

- إذن لنفرض ان اثنين اشتركا في تناول « سندويتش » أو الشرب من ابريق الشاي نفسه وان احدهما أعطي حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فماذا تكون النتيجة على فرض ان الغذاء او الشراب الذي شارك فيه الآخر كان محتوياً على مورفين ؟

– يخرج الاكل والشراب وكذلك المورفين في القبيء الذي يحدث للشخص الذي حقن بالهيدروكلوريد آبومورفين .

– وهل تحدث عواقب سيئة لمثل ذلك الشخص ؟

– لا .

وفجأة ظهرت حركة اهتمام في قاعة المحكمة واصدر القاضي أمراً بالصمت .

* * *

– هل انت اميليا ماري سيدلي وتقيمين في رقم ١٧ تشارلس ستريت في بونامبا بأوكلاندا ؟

– نعم .

– أتعرفين سيدة اسمها مسز دريبر ؟

– نعم لقد عرفتها منذ اكثر من عشرين عاماً .

– اتعرفين اسمها الحقيقي .

– نعم فقد حضرت زواجها .. اسمها ماري رايلي .

– هل هي من أبناء نيوزيلندا ؟

– لا .. لقد حضرت من إنجلترا .

– هل كنت في المحكمة منذ بدء المحاكمة ؟

– نعم .

– أين رأيتها ؟

– رأيتها تشهد من فوق هذه المنصة .

– تحت أي اسم ؟

- نجيسي هوبكنز .
- هل أنت واثقة تماماً أن هذه الجيسي هوبكنز هي المرأة التي تعرفينها باسم ماري رايلي أو دريبر ؟
- لا شك في ذلك .
- ومتى كانت آخر مرة رأيت فيها ماري دريبر قبل ان تريها هنا اليوم ؟
- منذ خمسة اعوام .. فقد ذهبت الى إنجلترا ..
- فقال سير اودين وهو ينحني للادعاء :
- الشاهدة أمامك ولك ان تسألها .
- ووقف سير صامويل وقد ظهرث على وجهه الحيرة وقال :
- أظن انك يا مسز سيدلي قد تكونين مخطئة .
- أنا لست مخطئة .
- انا لست مخطئة .
- قد يكون سبب ذلك وجود بعض التشابه .
- أنا أعرف ماري دريبر معرفة كافية .
- ان الممرضة هوبكنز هي ممرضة حي رسمية .
- لقد كانت ماري دريبر ممرضة في مستشفى قبل زواجها .
- هل تدركين انك بذلك تتهمين شاهدة الادعاء بالكذب في شهادتها ؟
- انا ادرك ما اقول .

* * *

- انت ادوارد جون مارشال وقد عشت بضعة أعوام في اوكلاند بنيوزيلندا وتقيم الآن في رقم ١٤ رن ستريت في ديتفورد اليس كذلك ؟
- بلى هذا صحيح .
- هل تعرف ماري دريبر ؟
- لقد عرفتها عدة أعوام في نيوزيلندا .
- هل رأيتها في المحكمة هنا اليوم ؟
- نعم . . لقد اسمت نفسها هوبكنز . ولكنها مسز دريبر نفسها .
- ورفع القاضي رأسه . . وقال في صوت واضح ثاقب :
- أظن أنه من المرغوب فيه أن تستدعى الشاهدة جيسي هوبكنز .
- فترة صمت . ثم هممت .
- سيدي القاضي . . لقد غادرت جيسي هوبكنز قاعة المحكمة منذ بضع دقائق .

* * *

هركيول بوارو :

- ووقف بوارو على منصة الشهادة واقسم اليمين وقتل شاربه وانتظر وقد مال رأسه الى اليسار ثم ذكر اسمه وعنوانه ومهنته .
- اتذكر هذا المستند يا مسيو بوارو ؟
- بالتأكيد . . انه الخطاب الذي كتبه اليزا رايلي زوجة المدعو جيرارد قبل وفاتها .

- كيف حصلت عليه ؟
- لقد أعطتني اياه المرضعة هوبكنز .
فقال سير ادوين :
- بعد استئذانك يا سيدي القاضي سأقرأ المستند بصوت مرتفع وبعد ذلك
يمكن تقديمه للمحلفين .

* * *

الفصل الخامس عشر

مرافعة الدفاع

« حضرات المحلفين .. ان المسؤولية تقع عليكم الآن .. وليكم ان تقولوا ما إذا كان من حق اليانور كارليس ان تخرج من قاعة المحكمة حرة طليقة .. فاذا كنتم بعد الاثبات الذي سمعتموه تجدون انكم على يقين من ان اليانور كارليس قد سممت ماري جيرارد فان من واجبكم عندئذ ان تعلنوا انها مذنبه .

ولكن إذا وضح لكم ان هناك دليلاً قوياً مثل السابق او اقوى منه يدين شخصاً آخر فان من واجبكم عندئذ « اطلاق سراح » المتهمه على الفور . ولا بد انكم قد تحققتم الآن ان وقائع القضية مختلفة جداً عما كانت تبدو في بادئ الامر .

فبالأمس بعد الشهادة والاثبات « الدراماتيكي » الذي قدمه لنا مسيو بوارو استدعيت شهوداً آخرين لأثبت بما لا يدع مجالاً للشك ان الفتاة ماري جيرارد كانت الابنة غير الشرعية للورا ويلمان ومتى ثبت هذا فان ذلك يعني ان أقرب قريب لمسر ويلمان لم تكن اليانور كارليس ابنة اخيها ولكن ابنتها

غير الشرعية التي كانت معروفة باسم ماري جيرارد ، وعلى ذلك فسان ماري جيرارد ورثت عند موت مسز ويلمان ثروة طائلة .. هذا امها السادة لب الموضوع . مبلغ في حدود مائتي الف من الجنيهات ورثته ماري جيرارد ولكنها لم تكن تدرك تلك الحقيقة كما انها كانت أيضاً غير مدركة للشخصية الحقيقية للمرأة هوبكنز وقد تظنون أيها السادة انه ربما كان لدى ماري رايلي او ديبر سبب مشروع لتغيير اسمها الى هوبكنز فاذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر لنا ذلك السبب ؟

ان كل ما نعرفه هو ما يلي : انه بإيحاء من الممرضة هوبكنز كذبت ماري جيرارد وصية تركت فيها كل شيء ، لماري رايلي شقيقة اليزا رايلي ونحن نعرف ان مهنة الممرضة هوبكنز تمكنها من الحصول على المورفين وعلى الأومورفين وانها كانت تدرك خصائص كل منها .. يضاف الى ذلك انه قد ثبت ان الممرضة هوبكنز لم تقل الصدق عندما زعمت ان رسغها قد وخزته شوكة من شجرة ورد ليس بها اشواك .

فلماذا كذبت ان لم تكن تريد ان تقدم بسرعة سبباً لوجود العلامة الناجمة من ابرة الحقن .. وتذكروا ايضاً ان المتهمه قد اقسمت على انها عندما انضمت الى الممرضة هوبكنز في المطبخ وجدت انها كالمريضة وان وجهها كان به شحوب وهو أمر مفهوم اذ كانت قد تقيأت قيئاً شديداً .

وسأواجه أنظاركم الى نقطة أخرى وهي ان مسز ويلمان لو كانت قد عاشت اربعاً وعشرين ساعة أخرى لكذبت وصيتها ومن المحتمل جداً ان تلك الوصية كانت ستحوي شرطاً تهب به ماري جيرارد جزءاً طيباً من ثروتها ما دام الاعتقاد الذي كانت تؤمن به مسز ويلمان هو ان ابنتها غير المعترف بها ستكون اسعد اذا بقيت على حياتها التي نشأت عليها .

وليس من حقي أن أعلق على الشهادة ضد شخص آخر الا إذا ظهر لكم ان هذا الشخص الآخر كانت لديه ظروف متكافئة ودافع قوي لارتكاب الجريمة

ومن خلال وجهة النظر هذه أضع بين أيديكم يا حضرات السادة المحلفين القضية المقامة ضد اليانور كارليسلى وقد انهارت تماماً .

* * *

من تلخيص القاضي للمحلفين عن القضية :
« . . يجب ان تكونوا على يقين تماماً من ان تلك المرأة فعلاً قد قامت بتقديم جرعة قاتلة من المورفين لماري جيرارد يوم ٢٧ من يوليو فاذا لم تكونوا مقتنعين يجب عليكم اطلاق سراحها » .

« وقد ذكر الادعاء ان الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه تقديم السم إلى ماري جيرارد هو المتهمه وقد حاول الدفاع ان يثبت انه كان هناك امكانيات أخرى فهناك النظرية القائلة بأن ماري جيرارد قد تكون انتحرت ولكن الدليل الوحيد الذى يؤيد تلك النظرية هو ان ماري جيرارد قد كتبت وصيتها قبيل موتها وليس هناك أي دليل على أنها كانت يائسة او غير سعيدة او في حالة عقلية تؤدي بها إلى انهاء حياتها كما قيل ايضاً ان المورفين قد يكون قد قدمه في « السنديتشات » شخص دخل المطبخ خلال الفترة التي غابت فيها اليانور كارليسلى . في هذه الحالة يكون السم مقصوداً به اليانور كارليسلى ويكون موت ماري جيرارد قد حدث بطريق الخطأ ، اما الاحتمال الآخر الذي اشار اليه الدفاع فهو ان شخصاً آخر كانت لديه امكانيات مشابهة لتقديم سم المورفين وفي تلك الحالة يكون السم قد قدم في الشاي وليس في « السنديتشات » ويؤيد تلك النظرية الشاهد ليمتدليل الذى استدعاه الدفاع والذى أقسم ان قصاصة الورق التي وجدت في المطبخ جزء من بطاقة توضع على انبوبة تحوى أقراص أبومورفين وهو عقاقول قوي للقيء وقد قدمت لكم نماذج من بطاقات العقارين وفي نظري أن « البوليس » أهمل اهمالاً شديداً في عدم التحقق من القصاصة قبل ان يسرع بالتقرير بأنها بطاقة مورفين .

وقد ذكرت الشاهدت هوبكنز ان شوكة من شجرة ورد يجوار الكوخ
قد وخزت رسغها وقد فحص الشاهد وارجرىف تلك الشجرة وقرر ان
ليس بها أشواك وعليكم أن تقرروا ما الذي سبب العلامة على رسغ الممرضة
هوبكنز ولماذا كذبت بشأنها .

فاذا كان الإدعاء قد أقنعكم ، ان المتهمه وحدها قد ارتكبت الجريمة فعليكم
إذن أن تقرروا ان المتهمه مذنبه .
وإذا كانت النظرية الأخرى المقدمة من الدفاع ممكنة ومتفقة مع الوقائع
فيجب « اطلاق سراح » المتهمه .

وأنا أطلب منكم أن تدرسوا قراركم في شجاعة وحكمة وألا تقيموا وزناً
إلا للأدلة التي قدمت اليكم
وأحضرت اليانور مرة أخرى إلى « قاعة » المحكمة .
ودخل المحلفون .

- حضرات المحلفين . هل اتفقتم على قرار ؟

- نعم .

- أنظروا إلى السجينة في القفص وقولوا هل هي مذنبه أو غير مذنبه .

- غير مذنبه .

الفصل السادس عشر

أخرجوها من باب جانبي .. وكانت هناك بعض وجوه ترحب بها ..
هناك رودي .. والمخبر ذو الشوارب الكبيرة .. ولكنها استدارت نحو بيتر
لورد . وقالت :

— أريد ان اذهب الى مكان بعيد .

وكانت تجلس معه في السيارة الديملر التي كانت تغادر لندن مسرعة .. لم
يقبل لها شيئاً وكانت تجلس في هذا السكون السعيد وكل دقيقة تمر .. تدنيها
من حياة جديدة .. وهذا هو ما كانت تطلبه .. حياة جديدة .
وقالت فجأة :

— أريد أن أذهب إلى المكان هادئ .. ليس فيه أية وجوه .

فقال بيتر لورد في هدوء :

— ان كل شيء قد رتب أمره . أنت ذاهبة الى مصحة .. مكان هادئ ،
وحداثق جميلة .. ولن يضايقك أحد .

فقالت في تنهد :

— نعم . هذا ما أرغب فيه

لقد رأيت ان مهنته كطبيب هي التي جعلته يفهم . انه يعرف ومع ذلك

لم يضايقها .. أية سعادة تشعر بها وهي معه هنا تبتعد عن كل شيء .. عن لندن . متجهة نحو مكان أمين .

لقد كانت تريد أن تنسى كل شيء يتصل بالحياة القديمة والعواطف القديمة .. لقد أصبحت مخلوقة ، جديدة ، غريبة بلا قوة على الدفاع ، تبدأ الحياة مرة أخرى من جديد .

والآن لقد أصبحت خارج لندن مخترقين الضواحي .
فقال أخيراً :

– إنني لا أعرف كيف أشكرك .
فقال بيتر لورد :

– الشكر لمسيو بوارو .. ذلك الشخص الساحر .
ولكن البيانور هزت رأسها وقالت في عناد

– بل لك أنت .. أنت الذي أحضرته وجعلته يفعل ما فعل .
وابتسم بيتر وقال :

– لقد جعلته يفعل ذلك حقاً .
فقال البيانور :

– هل كنت تعرف انني لم أرتكبها أو أنك لم تكن واثقاً ؟ .
فقال بيتر في بساطة :

– لم أكن قط واثقاً تماماً .
فقال البيانور :

– ولهذا السبب كدت أقول في البداية انني مذنب . لأنني كما ترى ، قد فكرت في الجريمة .. فكرت في ذلك يوم أن ضحكت وأنا واقفة خارج الكوخ .

فقال بيتر :

– نعم .. أعرف ذلك .

فقال في عجب :

- يبدو الأمر الآن غريباً . ففي ذلك اليوم الذي أعددت فيه « السندويشات » كنت أفكر هل أضع لها السم لتموت ويعود رودي إلي ؟
فقال بيتر لورد :

- أن بعض الناس يشط بهم الخيال في مثل تلك المواقف . . وهو شيء غير ضار حقاً . . ففيه ترويح عن المشاعر وتنفيس للعواطف المكبوتة .
فقالت الينانور :

- نعم . هذا حقيقي . لأن ذلك الشعور ذهب بعد ذلك فجأة وعندما ذكرت تلك المرأة شجرة الورد خارج الكوخ هدأت ثائرتي .
ثم أضافت وهي ترتعش .

- وبعد ذلك عندما رجعنا إلى غرفة الجلوس وكانت ماري تموت سألت نفسي هل هناك فرق كبير بين التفكير في الجريمة وارتكابها؟

فقال بيتر لورد :

- فرق كبير جداً فالتفكير لا يسبب أي ضرر .

فصاحت الينانور :

- أوه . أنت شخص مطمئن .

فقال بيتر لورد :

- لا هذا هو المنطق .

فقالت الينانور وقد اغرورقت عينها بالدموع فجأة :

- في المحكمة كنت بين حين وآخر انظر اليك . . وكان ذلك يثبت في

الشيء . . فقد كان مظهرك كما عهدته وكما تعودت أن أراه . .

- أفهم ما تعنين ، عندما يكون المرء وسط كابوس فالأمل الوحيد بالنسبة

له هو الشيء الذي تعودده وعلى كل حال فالأشياء المعتادة هي أفضل الأشياء . .

وللمرة الأولى منذ ركبت السيارة أدارت رأسها ونظرت إليه وفكرت . .

- ان وجهه لطيف ومطمئن .

- وامتمرت السيارة في طريقها حتى وصلت إلى بوابة مرت منها لتسير في طريق ملتو حتى وصلت إلى منزل أبيض هاديء يجاذب تل وهناك قال :
- ستكونين في أمان تام هنا ولن يضايقك أحد .
- وفي حركة لا شعورية وضعت يدها على ذراعه وقالت :
- وأنت . هل ستحضر الثرائي ؟ .
- طبعاً .
- كثيراً ؟ .
- ذلك يتوقف على رغبتك .
- إذن أرجوك أن تحضر ..

الفصل السابع عشر

قال بوارو :

- هانتذا ترى يا صديقي أن الأكاذيب التي يقولها الناس هي أيضاً ذات نفع مثل الحقائق .

فسأله بيتر لورد :

- هل كذب عليك الجميع ؟

- أوه .. نعم لسبب أو لأكثر .. والشخص الوحيد الذي كان من واجبه أن يقول لي الحقائق كان يمتاز بالحساسية من تلك الناحية .. هذا الشخص هو الذي حيرني أكثر من أي شخص آخر .

- البيانور .

- تماماً .. إذ أن الأدلة كانت تشير إليها وهي لا تحاول عمل أي شيء لاثبات برائتها بل إنها كانت تتهم نفسها باعتقادها أن الرغبة ، ان لم يكن الفعل نفسه ، هو ما يثقل ضميرها حتى انها كادت تعترف بالذنب في أول المحاكمة .

- أمر لا يصدق .

- ولكنه الواقع يا صديقي لأنها تحكم على نفسها بمقياس أدق من المقياس الذي يعيش به أكثر الناس .

- أنت على حق في ذلك .

وهنا مضى بوارو في حديثه فقال :

- من اللحظة الأولى التي بدأت فيها تحرياتي كان هناك دائماً احتمال كبير هو أن تكون اليانور قد ارتكبت الجريمة التي اتهمت بها ولكنني وفيت بوعدتي لك وكشفت أن الاتهام قد يوجه بدرجة أكبر نحو شخص آخر .

- الممرضة هوبكنز ؟

- ليس في أول الأمر فقد جذب انتباهي روديك ويلمان إذ أنه كذب حين قال : أنه غادر إنجلترا يوم ٩ من يوليو وعاد في اليوم الأول من أغسطس لأن الممرضة هوبكنز ذكرت عرضاً أن ماري جيرارد رفضت رودتك ويلمان مرتين أحدهما في ميدنز فورد والثانية في لندن . . وأنت تذكر انني قلت لك ان لي صديقاً من اللصوص طلبت منه المساعدة وبذلك عرفت من جواز سفر روديك أنه كان في إنجلترا من ٢٥ إلى ٢٧ من يوليو فلماذا كذب علي متعمداً وتلك الفترة التي غابتها اليانور عن المطبخ . . إذاً كان روديك ويلمان هو الشخص الذي وضع السم فان الضحية المقصودة كانت اليانور وليست ماري فأني دافع لدى روديك لقتل اليانور ؟ .

كان هناك دافع قوي هو أنها كتبت وصية وهبت له بها كل شيء ومن أسئلي له علمت انه قد يكون عالماً بمحتويات الوصية .

فسأله بيتر لورد :

- ولماذا قررت انه غير مذنب ؟

- بسبب كذبة ثانية تمتاز بالغباء والحماسة إذ قالت الممرضة هوبكنز انها وخزت رسغها بشوكة شجرة ورد فذهبت لأرى تلك الشجرة فلم أجدها بها أشواكاً . . إذن كذبت الممرضة كذبة لا معنى لها وهذا ما جذب انتباهي اليها فبدأت اتقصى عنها ، وفجأة تذكرت انها عرفت شيئاً خاصاً بماري جيرارد

وأنها ، بطريقتها الخاصة ، تبذل معظم اهتمامها حتى يعرفه الناس .
- لقد ظننت ان الأمر على عكس ذلك .

- في الظاهر نعم فقد كانت تؤدي ببراءة دور شخص يعرف سراً ولكنه
لن يفشيه ثم عندما قابلت الممرضة أوبريان أيقنت انها قد استخدمتها ببراءة
فتأكد ظني من أن للممرضة هوبكنز غرضاً آخر ..

وقارنت بين اكدوبتها وأكذوبة رودريك ويلمان وسألت نفسي هل لكل
منهما سبب بريء يدفع إلى تلك الكذبة ففي حالة رودريك كان الايضاح انه
خجل من عدم إمكانه المحافظة على وعده بالبقاء في الخارج فترة من الزمن لا يرى
فيها ماري جيرارد وهذا ما جعله يكذب أما في حالة الممرضة هوبكنز فكنت
كلما فكرت في كذبتها زادت شكوكي نحوها وهنا بدأت أسأل نفسي من الذي
سرق منها المورفين ؟ . هوبكنز .. من كان في إمكانه إعطاء مسز ويلمان
المورفين ؟ هوبكنز .. ولكن لماذا تجذب الأنظار الى فقدان المورفين ؟ كانت
هناك إجابة واحدة على ذلك السؤال في حالة ان تكون هوبكنز هي الجانية
الا وهو لأن الجريمة الأخرى جريمة قتل ماري جيرارد ، كانت قد أعدت
ورسمت وانه قد اختير لذلك ضحية وان تلك الضحية يجب ان يكون لديها
الفرصة لأخذ المورفين .

عندئذ بدأ اللغز يتضح قليلاً .. الخطاب الصادر من مجهول والذي أرسل
إلى اليسانور كان الغرض منه اثناء العلاقة بين اليسانور وماري . حضور اليسانور
لمحاولة الحد من تأثير ماري على مسز ويلمان ثم واقعة غرام رودريك ويلمان
بماري التي لم تكن في الحسبان ولكن سرعان ما استغللتها الممرضة هوبكنز
ورأت هناك دافعاً كاملاً للضحية اليسانور

وهنا تساءلت ما السبب في الجريمةين وخاصة قتل ماري جيرارد ؟
هنا بدأت أجد ضوءاً ضئيلاً هو أن هوبكنز تأثيراً كبيراً على ماري وآية
ذلك انها دفعتها إلى كتابة وصية ولكن التي تفيد من الوصية ليست هوبكنز

بل خالة لماري كانت تسكن في نيوزيلندا وهناتذ كرت ملاحظة عابرة من أحد سكان القرية اذ ذكر لي ان تلك الحالة كانت يوماً ممرضة في مستشفى . عندئذ لم يعد ذلك الضوء ضئيلاً ولذلك كانت زيارتي الثانية للممرضة هوبكنز ومثل كلانا دوره في حندق وفي النهاية زعمت انها قد اقتنعت بمحاوراتي واطلعتني على ما كانت تهدف اليه طوال الوقت الا وهو سر مولد ماري . . وعندئذ تيقنت يا صديقي لأن ذلك الخطاب فضحها .

- كيف ..

- لقد كان مكتوباً على الغلاف :

« يرسل الى ماري بعد موتي ، وليس يسلم لماري . . فعرفت ان هناك ماري أخرى وانها ماري رالي أخت اليزا . والواقع ان هوبكنز لم تعثر على هذا الخطاب في الكوخ بين أوراق جيرارد ، ولكنه كان معها منذ سنوات وأنها تسلمته في نيوزيلندا حيث أرسل اليها بعد موت أختها ، وأن هوبكنز هي خالة ماري جيرارد ، وبالرجوع إلى بوليس نيوزيلندا عرفت أن الممرضة رالي كانت تعنى بسيدة عجوز كان موتها الفجائي موضع دهشة طبيبها المعالج ثم ظهر أنها خصت رالي في وصيتها ببعض المال . . كما عرفت أن زوج رالي هذه أمن على حياته ثم مات ولكن لسوء حظها نسي الزوج أن يرسل (الشيك) للشركة . وكذلك تروج اشاعات عن حوادث قتل من هذا القبيل حول هذه الممرضة . وأخيراً قدمت إلى هذه البلاد واتخذت اسم هوبكنز (وهو اسم زميلة سابقة لها ماتت في الخارج) ويبدو أنها لم توفق في ابتزاز النقود بالتهديد من مسز ويلمان . ولما اشتد المرض بالأخيرة وطلبت أن تكتب وصيتها حرصت هوبكنز على أن تموت السيدة دون أن تكتبها حتى تكون الوارثة ابنتها غير الشرعية . وكانت قد وثقت علاقتها بماري جيرارد واستطاعة أن تخضعها لنفوذها فأصبح كل ما عليها هو أن تحرض الفتاة على كتابة وصية تترك فيها كل ما تملك لخالتها ثم تقتلها في الوقت المناسب . واستعانن بالبومورفين

لانقاذ نفسها من الشاي المسمم الذي أعدته بيدها . ويبدو أنها كانت تزعم دعوة اليانور إلى كوخها فجأت هذه وهيات لها الفرصة .
ثم التفت إلى الدكتور وقال له باسمًا :

- وقد حاولت أنت بدورك أن تكذب علي بقصة السيارة وقصة علبة الثقب فقد حملت البسياني على القول بأنه رأى سيارة في الطريق ثم ادعت أنها لم تكن سيارتك وإنما سيارة شخص غريب . والآن ماذا كنت تصنع في ذلك الصباح .

- علمت أنها مضت إلى المنزل فأردت أن أراها وقد شاهدتها من النافذة وهي تقطع السندويتش وظللت أراقبها إلى أن اختفت .
- هل أحببت اليانور حبا جارفاً ؟
- من اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليها .
- انها في حاجة اليك .

- لقد دعيتني إلى زيارتها كثيراً . قل لي هل كانت هوبكنز تنوي حقيقة كشف الستار عن علاقة ماري جيرارد الحقيقية بمسز ويلمان .
- هو ذلك يا أبله . ثم إذا ثبت أنها الوارثة الوحيدة لها انحدرت الثروة إلى ماري رالي . أي إلى المريضة هوبكنز نفسها خالة القتيلة .

- تمت -

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان